عبد اللطيف بن الطالب

في درب صاحبة الجلالة

تجارب ميدانية في الصحافة



قسم الكتاب
أكادير ميديا للكتاب والنشر



عبد اللطيف بن الطالب

في درب صاحبة الجلالة

تجارب ميدانية في الصحافة

اعداد قسم الكتاب
اكادير ميديا للكتاب والنشر

عبد اللطيف بن الطالب

في درب صاحبة الجلالة

تجارب ميدانية في الصحافة

قسم الكتاب
أكادير ميديا للكتاب والنشر

المؤلف : عبد اللطيف بن الطالب

التصفيف والاخراج الغرافيكي والجمالي: الأستاذ رشيد فاسح

أعده للنشر والطباعة: قسم الكتاب والنشر

الناشر : مؤسسة أكادير ميديا

المطبعة: مطابع أكادير ميديا

رقم الايداع القانوني: 2012MO2592

الرقم الدولي (ردمك): 978-9954-31-528-6

الطبعة الاولى: أكتوبر 2012

اكادير ميديا للكتاب والنشر

بهذا المتن الجديد للصحفي والإعلامي عبد اللطيف بن الطالب، يدشن قسم الكتاب بمؤسسة اكادير ميديا للإعلام والتواصل تجربة جديدة، لإغناء الخزانة السوسية والوطنية بالمراجع والتجارب القيمة في مجال الإعلام بصفة عامة، و الإعلام السمعي البصري بصفة خاصة، وبذلك تكون مؤسسة اكادير ميديا للكتاب والنشر سباقة ووفية لخطها ونهجها الرائد جهويا ووطنيا، من خلال المساهمة في تدوين وطبع ونشر التجارب الإعلامية لمختلف العاملين في المجال والحقل الإعلامي الجهوي بتعدد تخصصاته وتنوع مؤسساته.

هذه التجربة الفريدة والرائدة ستشكل بدون ادنى شك مرجعا ونبراسا، في مجال التكوين والتأطير الأكاديمي الميداني، لطلبة مهنة المتاعب بالجامعات والمدارس، أو درب صاحبة الجلالة كما يحلو للصحفي عبد اللطيف بن الطالب أن يطلق عليها وعلى تجربته الميدانية هاته.

ومهما تعددت الأوصاف واختلفت التجارب في الساحة الإعلامية، محليا جهويا ووطنيا، فقسم الكتاب بمؤسسة اكادير ميديا عاقد العزم على تشجيع ومواكبة جميع الكفاءات الإعلامية والمثقفة محليا وجهويا، والمساهمة في النهضة الثقافية والإعلامية التي يعرفها المشهد الإعلامي والثقافي بالمغرب وبجهة سوس مساة درعة في الألفية الثالثة، من خلال تجارب وخبرة أبنائها وكوادرها في مختلف الميادين والمجالات، والتي أبانوا فيها عن علو كعبهم ونالوا بالتالي تقدير واحترام الجميع على مجهوداتهم وتفانيهم في العمل والإجتهاد.

رشيد فاسح
رئيس قسم الكتاب والنشر

تحية إلى كل الذين زرعوا في شراييني بذرة الصحافة، وأناروا طريقي في درب الإعلام

تقديم :
حين تؤتى القوس باريها..

كنت (ومازلت) أقول لزملائي، من طلبتي بالمعهد العالي للصحافة والإعلام بالدارالبيضاء، جملة تغضب الكثيرين منهم، وتستفز آخرين، وتثير الحيرة في فريق آخر. كنت أقول لهم، في سياق الحديث عن تحديات ممارسة هذه المهنة: «لمن سيكتب له منكم فعلا امتهان هذه المهنة»، لأن لي اليقين أن ليس كل طلبة معاهد الصحافة سيصبحون صحفيين بالضرورة، وأيضا ليقيني أن من يصنع الصحفي ليس المعاهد والتكوين، بل مدرسة الحياة والممارسة في الميدان. بدليل، أن بعض أعظم صحفيي المغرب والعالم العربي والعالم، لم يلجوا قط معهدا صحفيا، وأن مدرستهم كانت هي الممارسة. بالتالي، كانت الغاية أن أستفز تحديهم للتشبث أكثر بهذه المهنة الجحود في بلد مثل بلدنا المغرب.

وأثناء رحلة التواصل، مع مرور أسابيع التدريس بالمعهد، تبدأ «النقلات» تظهر متفردة أمام انتباهك، التي تقول في قرارتك: هذه سيكون لها شأن. وفي مدرج المحاضرات الصغير بالمعهد بالدار البيضاء، بشارع المقاوم حسن الصغير، على يساري، في المقاعد الأمامية، كان يجلس دوما شاب مثقل بصمته، ولا تخطئ سحناته أنه منحدر من الجنوب المغربي الأمازيغي السوسي. وبعد أسابيع قليلة من فرض تقنيتي الخاصة في التواصل مع الزملاء الطلبة، التي تحاول جعلهم شركاء في إنتاج مادة الدرس، وليس مجرد مستهلكين سالبين لها، ليقيني أن الحقيقة تبنى ولا تلقى، وأنها تترسخ أكثر من خلال جمالية الإحساس بالمشاركة في بنائها، من أن تنزل من وهم علياء ادعاء «معرفة استثنائية»، خاصة وأن مهنة مثل مهنتنا، إنما ألقها الجميل هو في أنها مجال مفتوح للتعلم حتى الرحيل الأبدي. بالتالي، أنا موقن دوما أن لا فضل لي على الزملاء الطلبة سوى، بما أحاول أن أنقله إليهم من خلاصات تجربتي الخاصة في المهنة والحياة، ومن ما ترسخ في وعيي وممارستي من تقنيات مهنية. كان ذلك سببا لأن يتجرأ الجميع على المشاركة في صناعة الدرس وإنتاجه.

وحدث أن تدخل لأول مرة، بعد أسابيع من الصمت، بخجل واضح، ذلك الشاب الذي يجلس في نفس المقعد على يساري، ليقول فكرة بليغة بلغة عربية فصيحة وبلكنة جنوبية، كانت السبب لأن ينتبه له كل من في المدرج. كان ذلك سببا ليسجل اختلافه الخاص بين باقي زملائه، وكان سببا ليترسخ لدي يقين لم يخطئ إلى اليوم، أن هذا الشاب مشروع صحفي مغربي ناجح.لأنه يمتلك أمورا ثلاث حاسمة: لغة عربية رصينة، خجلا يدفعه للإنتصار على نفسه ومحيطه، ثم صدقا مع الذات. ذلكم هو عبد اللطيف بن الطالب، بل، إنه حين عين في مكتب القناة الثانية بمكتبها بورزازات، قلت في قرارتي: «لقد أوتي القوس باريها»، وأن من قرر ذلك، له ذكاء تدبيري مسؤول.

إن الكتاب الشهادة، الذ ي أتشرف بكتابة كلمة تقديمية له هنا، هو ترجمان للجدية والصدق مع الذات التي لمستها في الرجل منذ أول لقاء جمعني به بمدرج المعهد. لقد كان طبيعيا أن يكتب عبد اللطيف جزء من شهادته عن تجربة مهنية لا تزال مفتوحة، ولا يزال وعدها أمامها، لأنه يمتلك ذكاء أهمية التراكم، وأهمية التواصل، وأنه في مكان ما إذ يكتب ما يكتبه، فهو لا يكتبه بالضرورة للآخرين، بقدر ما هو يكتبه لنفسه، كنوع من التفكير بصوت مرتفع، شهادة عن تجربة حياة، وهذا النوع من الصحفيين، يذهب بعيدا في المهنة، لأن قيمة التوثيق عالية الأثر لديه، ليس فقط عن تجربة حياة، بل ترجمانا عن اسم يحفر أثره في ذاكرة الوقت والناس، وحين كنت أقرأ صفحات كتابه، كانت تبنى أمامي علامات ذكائه الواضح، أنه يبني معاني خاصة، قوتها أنها بلا ادعاء ولا طاووسية، بل إنها ترسل رسائلها أن مغربا جديدا يبنيه أبناؤه من الأجيال الجديدة، وأنه من موقعه كصحفي، يلعب الدور الطبيعي للمهني الذي يضع حجره في بيت حائط التنمية المغربي، ومن خلال اللغة والتفاصيل، نكتشف كيف تدور دورة الحياة في المغرب العميق الذي نكاد لا نلتفت إليه في زحمة مدننا الكبرى، وبذلك فهو يحبب المهنة لنا جميعا، كونها أداة لاكتساب الرضى مع الذات، أننا نقوم بعمل ينفع الناس ويمكث في الأرض.

في مكان ما، هي قصة حياة، وقصة ممارسة مهنية في مغرب اليوم، وهي غنية بالتفاصيل والقيم والدروس، وأنها شهادة ستبقى عن الذي صار والذي كان، ولنا أن نتصور قيمتها بعد خمسين سنة فقط، فهي

ترجمان لحقيقة تاريخية عن مغاربة ومغرب ومهنة. في مكان ما أيضا، نحن بحاجة مغربيا، إلى مثل هذا الوعي الصحفي المواطن. ذلك الذي لا يكتفي بأن يلعن الظلام، بل إنه يوقد شمعة الحقيقة فيه. وأن الرجل لا يقوم أبدا بالخوارق، بل إنه فقط يقوم بعمله كما يجب له ذلك، بلا زيادة ولا نقصان. وهذه لعمري مكرمة معنى المسؤولية، التي كم نحتاجها في سلوكنا العمومي المغربي. ومن خلال تجربة الزميل بن الطالب، فإن الجسم الصحفي المغربي، يكتسب احترافيته أكثر، ويكون لذلك الجسم، ما يجب له أن يكون: «صوتا للرأي العام»، صانعا له، من خلال تربية سلوكية تواصلية تحول الصحافة إلى أداة بيداغوجية حاسمة في التربية على قيم المواطنة. وفي بلد مثل المغرب، حيث لا نزال نعيش مخاضات تحول تاريخي هائل منذ أكثر من قرن من الزمان، فإن الصحافة أداة تربية عمومية حاسمة، مفروض أن تطوع التدافع المعتمر بيننا كأمة، بسلاسة كي يشتد عود المغرب الجديد المحلوم به، المغرب المتصالح مع ذاته ومع شرط المدنية الحديثة.

هنا في هذا الكتاب، تجربة حياة، تجربة ممارسة مهنية، وهو بذلك درس لنا جميعا.

لحسن لعسيبي
22 يوليوز 2012

توطئة:

لم يكن لهذا الكتيب أن يرى النور، ولهاته التجربة أن تترسخ وتدون لولا مجموعة من الأسماء ساهمت معي فيها: المرحوم رشيد رشوق، الحسين القصار، محمد الحراوي، المولودي زين الدين وحسن بوسعيد، أهدي لهم هذا العمل المتواضع، لأن الصحفي التلفزيوني ما كان لينجح لولا طاقمه، وهذه مناسبة أولى كي أسجل أهمية انسجام عناصر الطاقم لإخراج عمل أفضل، وأتقدم بالشكر الجزيل أيضا لكل الأصدقاء على دعمهم لي في كتابة هذا العمل، سواء من حيث النصح أو طريقة تقديمه وتصحيحه.

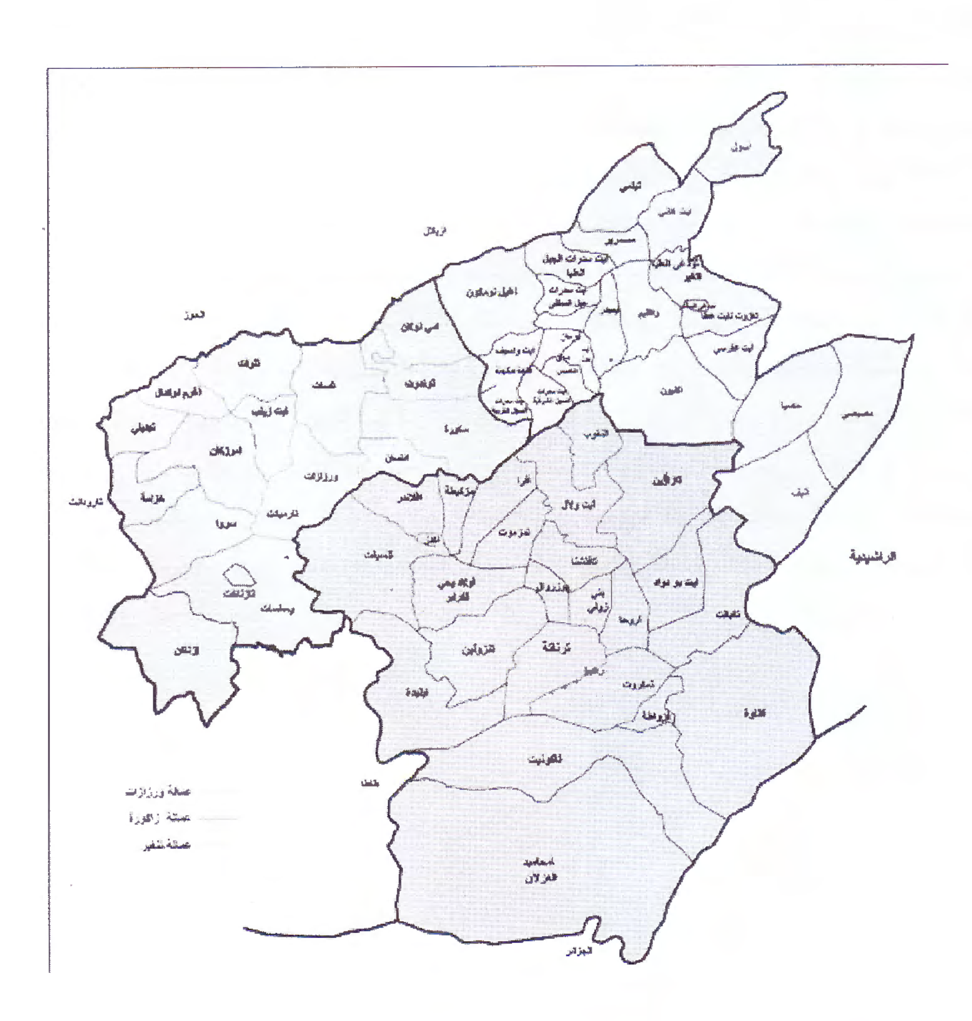
يقول الصحفي المغربي هاشم أهل برا في كتابه يوميات من خط النار: «لقد اعترضت طريقي الكثير من المعوقات في سبيل تأليف هذا الكتاب، وكان أصعبها على الاطلاق، أننا لا نكتب، أو أننا لا نعشق مهنة الكتابة، مما يجعل رحلة البحث عن الوثائق في غاية الصعوبة، إكتشفت، وأنا أكتب، أنني لا أجيد الكتابة، لكنني عشقت متعة التأليف، كيلا تموت في، الرغبة في البوح والإعتراف بالخطايا والتكفير عن الذنوب». *1

ذلك أني واجهت جزءا من مشكلة لا يفطن إليها الكثير من صحفيي المجال السمعي البصري، هي الإعتياد على لغة التلفزة ونسيان لغة الصحافة المكتوبة، فأثناء كتابة هذا العمل، إكتشفت تأثير الإشتغال في الخبر التلفزيوني، ثم حاولت الكتابة من جديد بعد تنبيه من عدة أصدقاء، لأن الكتابة للصورة أو في الإذاعة، تختلف تماما عن لغة الصحافة المكتوبة.

حاولت في هذا الكتاب تبيان دور الإعلام في المجتمع، وركزت على بعض الصعوبات التي يعانيها المهنيون، فنقلت تجارب خضتها رفقة الطاقم التلفزيوني للقناة الثانية بمناطق الجنوب الشرقي، في مكتبها بورزازات الذي قضيت فيه ما يقارب خمس سنوات، إضافة لتجارب في منابر إعلامية أخرى، سنوات من العمل الميداني والتنقل بين الدواوير والجماعات، تعرضنا خلالها لعدة مواقف وصعوبات ومشاكل، فرأيت أن تفيد تجربتي هذه الكثيرين من المهتمين، من باحثين وطلاب الجامعات ومعاهد الصحافة، سجلت فيها ملاحظات قد تعترض مسار أي

صحفي مبتدئ، ففي فترة دراستي الإعلامية. كنت في شوق كبير لمثل هذه المؤلفات. للتعرف على التجارب الميدانية واكتساب بعض المهارات وتجنب الصعوبات التي وقع فيها من سبقوني. كما أن الدروس التي تلقيناها لا تشير كثيرا إلى العلاقة بين الصحفي وبقية عناصر الطاقم الإعلامي. يتم التركيز كثيرا على عمل الصحفي فقط. والكتيب فرصة أيضا لأي قارىء. للتعرف عن قرب على مهنة الصحافة. وعلى ظروف الإشتغال خاصة في العمل الإخباري التلفزيوني. فالكثير من نلتقيهم بعد بث الأخبار. يعتقدون أن ربورطاجا إخباريا من دقيقة ونصف أو دقيقتين. هو عمل في منتهى السهولة. أووظيفة غاية في الروعة.

تجربتي وإن لم تكن بالكبيرة. كالتي خاض فيها صحفيون تغطيات إعلامية كبرى في ساحات الحروب أو غيرها من الأحداث. لكني أردتها نقطة ضوء يتعرف خلالها القارىء على جوانب من ظروف العمل الصحفي الميداني. جوانب لا أدعي فيها كوني المهني اللامع أو المنظر في المجال. بقدر ما هي تجارب قد أخطىء فيها أو أصيب. وهي أيضا دعوة لكل الإعلاميين في المغرب. لتدوين تجاربهم التي ستغني كثيرا قطاع الصحافة الوطنية.



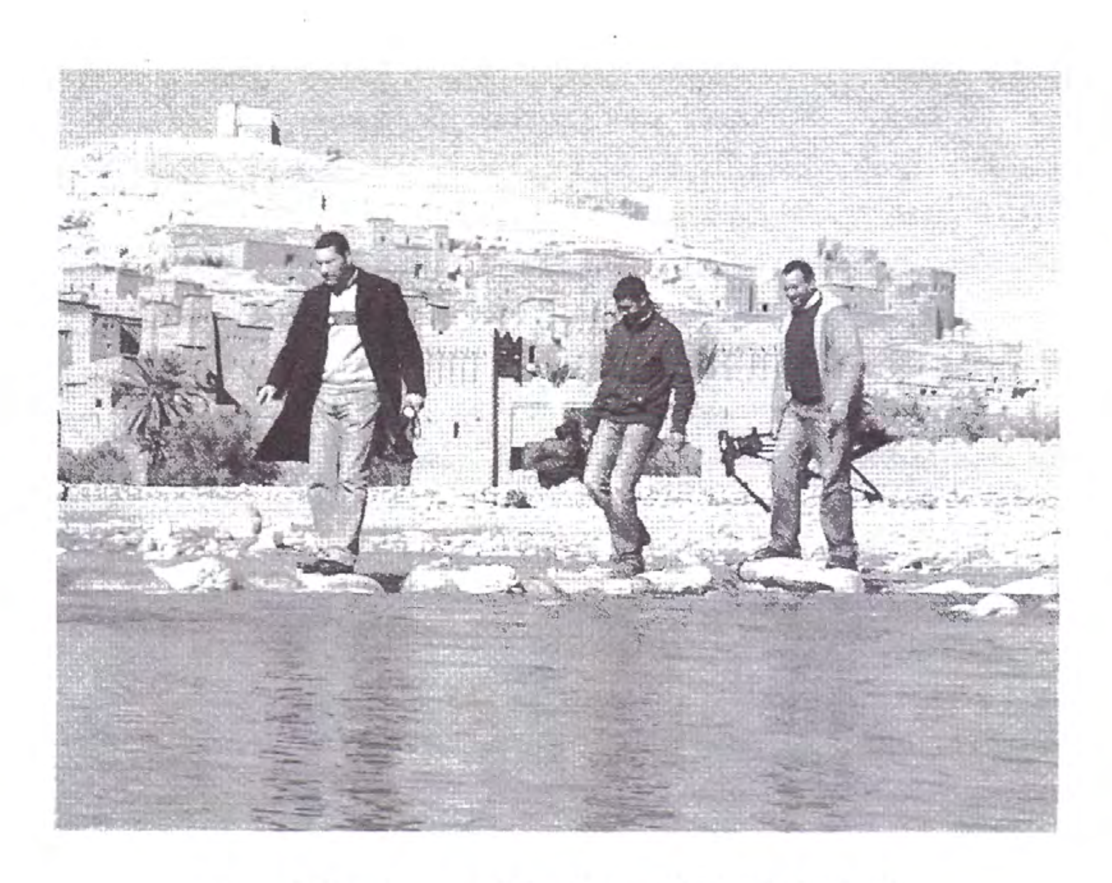
خريطة توضح موقع أقاليم ورزازات وتنغير وزاكورة في الجنوب الشرقي للمغرب

بداية التجربة بمكتب ورزازات:

"هل أنت متزوج؟ لا. لا يمكننا إذن كراء الشقة لك".كانت هذه هي الصعوبة الأولى. البحث عن سكن بمكان اشتغالي الجديد. فكثير من الناس لا يكرون الشقق والمنازل للغرباء العزاب. ويتطلب حل ذلك أن تحظى بثقة صاحب شقة ما للعيش في المدينة الصغيرة ورزازات. وما أن أسمع بأن فلانا يكري بيتا إلا وأفرح قاصدا إياه. ثم يفاجئني بشرطه أن يكون المكتري متزوجا. إذ يرون الشباب العزاب مصدر الكثير من المشاكل التي يرغبون في تفاديها. بعد بحث مضن رفقة أصدقاء. إقترح علي أحدهم أن آتي بأسرتي ككل كي أحظى بشقة مناسبة. لكنني بعد مدة قصيرة عثرت على عدة مقترحات إخترت منها الشقة المناسبة القريبة من المكتب. ربحا للكثير من الوقت أثناء التنقل.

بداية عملي في منطقة جديدة. غمرها إحساس غير مألوف. مشاعر مترددة في موقف بمثابة امتحان. إمتحان نفسي لأجل اجتيازه نظرا للثقة التي حظيت بها من لدن رؤسائي في المؤسسة. إضافة للمسؤولية الكبيرة الملقاة علي كصحفي سيسير مكتب القناة بمنطقة شاسعة. فكل جديد أو تغيير في الحياة. يخلق نوعا من عدم الإطمئنان في البداية أو ترددا ما. خاصة بعد اشتغالي بمدينة الدار البيضاء لمدة معينة. ألفت فيها جو كبرى مدن المغرب. فبين البيضاء وورزازات. فرق معيشي كبير. أمام ذلك تم بناء حياة أخرى ونسج علاقات جديدة. مع مسؤولي الجمعيات والقطاعات بالمنطقة. لأن البحث عن الخبر يلزمه خلق مصادر وتكوين مفكرة للهواتف. وسيكون التعرف أكثر على عادات المنطقة وخصوصياتها. فكم من مرة كنت أشتغل في المكتب حتى ما بعد وقت العشاء. لأكتشف إغلاق المحلات التجارية وبعض المقاهي. لأبيت دون وجبة عشاء خاصة في أوقات موسم الشتاء.

درعة بما فيها من أقاليم ورزازات. زاكورة وتنغير الحدث أخيرا. تحفل بتضاريس متنوعة. بالثلوج التي تكسو هامات الجبال وكثبان الرمال الممتدة في الصحراء.



طاقم القناة اثناء انجاز روبورتاج بالقرب من قصر ايت بنحدو

الواحات الخضراء والمنابع التي لا تنضب والأودية الجافة. أرض فيها زراعات خاصة تكاد لا تنبت إلا في هذه المنطقة شبه الصحراوية. مثل النخيل والحناء والزعفران الحر والورد البلدي. تميز متنوع في الطبيعة العذراء. وفي أزياء المنطقة وأهازيجها ومعمارها ونمط العيش بها. كان لذلك تأثير كبير في جعل المنطقة قبلة السياحة الجبلية والصحراوية في العالم ككل. الأسماء في المنطقة أيضا ذات طابع خاص. بجرس فونيتيكي يشابه صعوبة وتضاريس الجهة. نجد أسماء قرى ومدن مثل أكدز. زاكورة. ورزازات. فم زكيد. تازارين وغيرها ذات الحروف القوية. طقس المنطقة قاري صحراوي متسم بالبرودة في الشتاء إلى أدنى الدرجات. وبالحرارة المرتفعة صيفا. معطيات جعلت سائحين أجنبيين من فرنسا نموذجا يستقران بورزازات. بعد طول سفر وتجوال في عدة دول بالعالم. سألتهما لماذا اختارا ورزازات وجهة للإستقرار؟ أجابا بأن المغرب. وخاصة ورزازات. تحظى بتضاريس غاية في الجمال والإنبهار. فسيفساء من الألوان الطبيعية التي تجمع تضاريس العالم. ترى الثلوج والصحراء والواحات وغيرها من المناظر الطبيعية. والجو الصحي. الأمر الذي جعلهما يحبذان فكرة الإستقرار في درعة. وقد عرفت المنطقة تطورا مهما. على الخصوص في العشرية الأولى من الألفية الثالثة. رغم الإكراهات التي جعلت هذا التطور يتذبذب بين الصعود والأفول. في عدة مستويات إقتصادية مثل السينما والسياحة وكذا في الثقافة. فصيت ورزازات كبير. من كونها مثلا هوليود شمال إفريقيا أو عاصمة جهة درعة.

لكوني فردا من طاقم مكتب القناة الثانية وافدا على المنطقة. واجهت في البداية صعوبات التكيف وطقسها القاري. مع توالي السنين صار التأقلم معتادا شيئا فشيئا. خاصة أثناء ظروف العمل. إذ اشتغلنا في ظروف تتساقط فيها الثلوج. و في أجواء أخرى باردة الى درجة تتجمد فيها الأيدي. درجات الحرارة كذلك تفوق الأربعين درجة في الصيف أحيانا. حرارة تجعل الجسم يتراخى دون بذل أي مجهود. فكيف وهي أجواء تصادفنا في شهر رمضان المبارك؟ تأثير الطقس لا يكون فقط على الأجسام. بل حتى على معدات العمل. أذكر هنا آلة التصويرأو الكاميرا. فكثيرا ما توقفت في أجواء العمل الباردة. ما يجعلنا نتأخر أحيانا في تكملة التصوير.

درعة الواقعة جغرافيا من عتبة الأطلس الكبير شمالا إلى الصحراءجنوبا. يقف المرء مندهشا أمام مساحات من واحات النخيل

وكثبان الرمال. في عمق الجهة الجنوبية الشرقية المغربية إذن. تنوع في الجغرافيا والتاريخ والتقاليد الإجتماعية والحضارية. فالمنطقة التي ترسخت في أذهان الكثيرين. بأنها عبارة عن هضبة رمل فوقها جمال ترعى. هي أكبر من ذلك بكثير. على أرضها صورت أكبر الافلام العالمية. مثل لورانس العرب.كوندون.كليوباترا.الكلادياتور وغيرها. هي تاريخ أصيل. قصبات وقصور. معبر تجاري وعلمي قديم. هي حضارة من عمق المغرب.

دور تتهاوى، وقناطر تتهدم:

بعد أن تم اقتراحي للإشتغال بورزازات في المكتب الجهوي للقناة، جل ما كنت أعرفه عن المنطقة هو اشتهارها بالسينما والسياحة. بيد أني اكتشفت بعد ذلك، أن ثمة ما هو أكبر من السينما والسياحة في التغطية الإعلامية، هناك دواوير وجماعات معزولة، ونقص في البنيات التحتية والمرافق الإجتماعية، وليست السياحة والسينما إلا جزءا بسيطا من المعيش اليومي للسكان.

من النماذج التي تعرف ظروفا تضاريسية صعبة، قرى جماعة إمي نولاون، وإمي نولاون تعني في اللغة الأمازيغية "فم القلوب". ودواوير مثل إشباكن وأمزري وآيت عفان، وغيرها من المداشر التي تعاني ضعف البنيات التحتية، أولها الطريق، التي من خلالها يتم تسويق منتوجاتهم الفلاحية واليدوية، أو يقتنون احتياجاتهم من الأسواق. فمن الصور التي علقت بذهني، زيارتنا لدوار أماسين في الجماعة القروية نفسها، حيث كانت الطريق غير معبدة في مسالك جبلية وعرة تنحبس لها الأنفاس، على ارتفاع يقارب ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر. عشرون كيلومترا من مجمل الطريق قطعناها على متن سيارة الدفع الرباعي في حوالي ساعتين من الزمن، وتطلبت منا لمواصلة السير في إحدى المناطق أمرا غريبا، هو السير خلفا من أجل متابعة الصعود في أحد المنعرجات، كل ذلك مع الدعاء ألا نصادف سيارة أخرى في الإتجاه المعاكس.

في ذلك الدوار بدت الحياة هادئة، بيد أن التوغل في دروبه يكشف معاناة سكانه، يحمدون الله أن الكهرباء وصلتهم، غير أن مشاكل أخرى متبقية مثل ضعف التزود بالماء، وانعدام المستوصف والشبكة الهاتفية، في تلك الفترة من يناير التي زرناهم فيها، كان الأطفال دون معلم منذ بدء الدراسة، لالتحاق إحدى المعلمات بمدرسة أخرى ومرض المعلمة الثانية، بقي التلاميذ دون مدرس، منهم من اختار ارتياد الكتاب القرآني إنقاذا لأنفسهم من شبح سنة بيضاء.في أيام موسم الشتاء تكون الدواوير بجل أرجاء المنطقة في حالة استنفار تام، عدة دور تتهاوى بسبب قوة الامطار والرياح، أو بسبب بنائها قرب الأنهار والوديان والشعاب، وديان تأتي أيضا على محاصيل الموسم الفلاحية، أمام تلك



نموذج لاحدى الدور المتهدمة بمنطقة بومالن دادس

الاوضاع، وبعد تصويرنا لمجموعة من مشاكل الدواوير، تأتينا اتصالات كثيرة من مواطنين من شتى البقاع. منهم من يتصل مخبرا بتهدم قنطرة، ومن يتصل ليعلمنا باستحالة الوصول إلى دوارهم لأسباب ما، وآخر بأن الدوار في حاجة إلى ضروريات. إلى درجة أصبح فيها هاتفي المحمول بمثابة جرس إنذار من كثرة الإتصالات صباح مساء. كل وطريقته في التواصل، وإن تعذر الاتصال بنا، يرسل بعض المواطنين الرسائل القصيرة عبر الهاتف. في أحد الأيام الشتوية توصلت برسالة قصيرة، كتب فيها بحروف لاتينية ما يلي: "أزول فلاتون مالين دوزيم، حنا مالين أوزغمت بغينا نشوفوكوم، إلى خارج عندك تلفون صوني ليا دابا شكرا".
ترجمة ذلك بالعربية:
«السلام عليكم طاقم القناة الثانية، نحن من دوار أوزغمت ونرغب في رؤيتكم والتحدث إليكم، إن ظهر رقمنا الهاتفي لديكم فالرجاء الإتصال بنا وشكرا.رسالة أخرى توصلت بها، هي كالتالي: "مساء الخير، راه قيادة امسمرير مع جماعات ايت حمو أوسعيد، محاصرة بفعل فيضان واد دادس من يوم الأحد". هي جمل وكلمات تؤكد المعاناة والحاجة للدعم المادي والمعنوي واهتمامهم بالإعلام، لبث مشاكلهم للرأي العام.

في شهر مارس مثلا من سنة ٢٠١٠ بلغت المسافة التي قطعناها بين الجبال والجماعات القروية ما يقارب خمسة آلاف كيلومتر، مسافة ربما تقطعها وسائل الإعلام لدولة واحدة مثل هولندا في أحد ايام الشتاء. وأثناء تنقلنا لأحد الدواوير بجماعة غسات، تعرضت الطريق الإقليمية الموصلة إليها للإنهيار، إضطررنا لاستكمال الطريق مشيا على الأقدام، سألنا أحد المارة عن المسافة الزمنية نحو أقرب دوار، فقال إنها حوالي ربع ساعة، بيد أننا مشينا أكثر من ذلك، في وقت تتساقط فيه الأمطار والبرد، سرنا ما يقارب الساعة في طريق جبلية غير معبدة، تبللت ثيابنا وكنا نحمل عتاد الإشتغال الذي أثقل كاهلنا، وخفنا عليه من البلل لحساسيته. وما أن صادفنا أحد السكان من كبار السن عند مدخل الدوار، إلا وأمطرنا بعبارات الشكر والتقدير لهذا العمل الجبار في نظره، قائلا إن السكان في حاجة ماسة لإسماع صوتهم وبث شكاويهم، كان رجلا ضريرا تحمس كثيرالوصول منبرنا الإعلامي، تعبير عن حفاوة خاصة رغم ظروف عيش السكان، وهو الأمر الذي نجده كثيرا في جل الدواوير التي زرناها، وجدنا حينها بعض الرجال يقومون بإزالة الأحجار



سيارة نقل سقطت بسبب سيول الوادي بنواحي تنغير

من الطريق المؤدي للدوار، بدعم حتى من الأطفال الذين شمروا عن سواعدهم.

معاناة الدواوير والمناطق النائية من غياب أبسط ظروف الحياة، يجعل التغطيات الإعلامية بشتى أنواعها، ذات دور مهم في إخراجها من عزلتها، وتسليط الضوء على مشاكلها وجعلها محط أنظار الرأي العام، خاصة لدى المسؤولين المعنيين، لعلهم يتحركون لتغيير أوضاعهم نحو تنمية أفضل.

"التنمية مصطلح تعددت مفاهيمه وتعاريفه، بتعدد وجهات النظر في المجالات الحياتية المختلفة، عملية مركبة ومتداخلة، يمكن بمقتضاها توجيه كافة الجهود لتطال جميع أفراد المجتمعات المحلية، ومساعدتها على الإندماج في حياة المجتمع والإسهام فيه بأقصى ما يمكن"، حسب تعريف هيأة الأمم المتحدة. التنمية بمختلف مفاهيمها، لا يمكن عزلها لوحدها عن شؤون المجتمع، من ثقافة واقتصاد وسياسة وغيرها.تنمية هذه القطاعات يلعب فيها الإعلام دورا مهما إن لم نقل خطيرا، خاصة في ظل العولمة الحالية وكثرة وسائل الإتصال والتواصل، في ظل تلكالمعطيات، أحيانا تطرح أسئلة من قبيل: هل يعقل لقرية في هذا العصر، أن تعيش معزولة عن العالم الخارجي وفي تهميش تام لسكانها؟ من هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين التنمية والإعلام، إذ يعد الإعلام التنموي في عصرنا الراهن فرعا أساسيا وهاما من فروع النشاط الإعلامي، يعود الفضل الأول في استحداثه إلى العالم والباحث «ويليبر شرام» الذي وضع كتابا عنوانه: «وسائل الإعلام والتنمية»، الذي بحث في دور الإعلام التنموي وأهميته في إحداث التحول الإجتماعي والتحديث. وبشكل عام، الإعلام التنموي الفعال يعني وضع النشاطات المختلفة التي تضطلع بها وسائل الإعلام بمجتمع ما في سبيل خدمة قضايا المجتمع وأهدافه العامة. وهذا ما يتحقق جليا في قانون القرب الذي يشتغل عليه الصحفيون أثناء التكوين الأكاديمي، أي الإقتراب من نبض المواطن وبث كل ما له علاقة بحياته اليومية، حتى يتفاعل بإيجاب مع المواد الاعلامية كيفما كانت أنواعها.

نماذج كثيرة من مشاكل الدواوير والقرى النائية تم بثها من المنطقة في شكل استطلاعات، وتركت صدى مهما وردود فعل إيجابية، مثل القيام بحملات مساعدة لتلك المناطق المعزولة وتزويدها بالمؤن والألبسة.

خاصة في ظروف الشتاء، أو التفكير في دعم بنياتها التحتية. بث استطلاع مصور بشهادات السكان من دوار ناء، يعتبر في حد ذاته خطوة مهمة لدى السكان، حين يرون معاناتهم يشاركهم فيها ملايين المشاهدين، صورة معنوية لها دلالات عميقة. فهم جزء من مجتمع يشاهدون فيه دواوير وقرى عديدة عبر تراب الوطن، يبثون شكاويهم ومشاكلهم في القناة الإعلامية نفسها، وظهورهم يساويهم بنظرائهم في الحق في الإعلام. فوسائل الإعلام تهيء على الأقل المناخ العام للتنمية والتغيير، بما تقدمه من معلومات تتيح الإنفتاح وتوسع آفاق المجتمع.

يعبر الإعلام التنموي عن هموم الناس وتحدياتهم، بقدر ما يقترب من مشاكلهم بقدر ما يحظى بثقتهم وقبولهم، ليقع على عاتق الإعلام التنموي، مسؤولية المشاركة في إنضاج مفاهيم تنموية نابعة من التحديات المرتبطة بالمواطنين. يقول المهدي المنجرة في كتابه حوار التواصل:"إن الوعي بالصلات الوثيقة بين الإعلام والتنمية، تعود في البلدان المصنعة إلى أواخر الستينيات، أما في البلدان النامية فبدأنا بالكاد، وبطريقة ما زالت محتشمة أكثر من اللازم، نولي قدرا من الإهتمام لهذه الصلات."*2 ويضيف: "أهمية الإعلام تتمثل في أنه سبيل تحرير البشر وتمكينهم من الإعتماد على أنفسهم، شريطة أن تتوفر لديهم الإمكانات، لا أتحدث عن الإمكانات المادية، ولكن عن البنية الذهنية التي تحول دون استنبات هذه الوسائل الجديدة." *3

يبحث الإعلام عن مكامن الخلل في المجتمع ومحاولة تصحيح مساره، ولم لا تقديم الحلول أو البدائل، لأن الإعلام ذو توجه إنتقاد بناء يسعى إلى بناء مجتمع قوي، يعبر عن طموحات الناس وتطلعاتهم نحو الأفضل دائما، إلى درجة أن يراقب السلطات المتحكمة في صناعة القرار.

تيلمي والصناديق الفارغة:

منظر مؤثر في المجال السياسي، أن نرى مجموعة من الصناديق الزجاجية الخاصة بالانتخابات تعود فارغة إلى مكانها، بعد مقاطعتها من طرف سكان دواوير بجماعة تيلمي القروية المحاذية لإقليم ازيلال بأقصى شمال شرق إقليم ورزازات سابقا، والتابعة حاليا إلى إقليم تنغير الحديث، الأمر تكرر في مناسبتين، إبان الإنتخابات البرلمانية سنة 2007 وفي الإنتخابات الجماعية لسنة 2009، مقاطعة الإنتخابات واحتجاجات شتاء 2008، إثر انقطاع الطريق من بومالن إلى تيلمي بسبب الثلوج، بعض من ملامح هذه القرية النائية، فانقطاع الطرق غيض من فيض معاناة السكان بالمنطقة، يلخصها ضعف البنية التحتية في عدة جماعات قروية شمال بومالن، كامسمرير وآيت سدرات وتيلمي.

في موقع يوتوب الشهير بالأنترنت، فيديو مصور يؤرخ لوقفات سكان تيلمي زمن الإنتخابات، يظهر فيه سكان المنطقة رجالا ونساء يشتكون من ما وصفوه ضعف المرافق الاجتماعية مثل المراكز الصحية والمدارس والطرق وغيرها، تظهر فيه إحدى النسوة رأسها المجروح، متسائلة أين يمكن أن تتداوى؟

تلك الصور والفديوهات جعلتنا نضع المنطقة من بين النقط المستهدفة في ربورطاجاتنا الإخبارية، للتعرف عليها وعلى مشاكلها لتقديم الحلول الممكنة، كانت أول تغطية قمنا بها أواخر سنة 2008، ركزنا فيها على الظروف والمرافق الاجتماعية الأساسية، مثل الطرق والصحة والتعليم واقتصاد المنطقة، كان الطقس حينها باردا جدا، يدل حقيقة على الصعوبات التي يواجهها السكان أثناء فترة الشتاء، فالأيادي تتجمد وتحتاج في كل لحظة إلى الدفء.

أثناء تصويرنا لبعض المشاهد رأيت مجموعة من الشباب في حلقة يتحادثون فيما بينهم، فطلبت من بعضهم الإدلاء لنا بتصريحات حول ظروف العيش بالمنطقة، وبعد تسجيل تصريحات أحدهم بالأمازيغية، رفض الإدلاء بتصريح بالدارجة المغربية، بحجة أنه لا يعرف التحدث بها، إحترمنا وجهة نظره في عدم التصريح بالعربية، ورأيت في موقفه فقدان منبر سيسمع فيه صوته للمسؤولين بلسانه هو وانفعالاته الشخصية.



طريق إقليمية وعرة وملتوية تربط بومالن دادس بجماعة تيلمي

إضطررت مقابل ذلك إلى ترجمة تصريحه لإدراجه في الأخبار بالعربية، والفرق واضح بين التصريح الأصلي وترجمته، لأن الترجمة لن تكون أبدا مترجمة للإنفعالات والأحاسيس وطريقة التعبير عن الإحتياجات.

شتان بين الإشتغال في المدينة والبادية، فالعقليات تختلف، إن لم نقل تختلف من منطقة لأخرى، بحسب المستوى الثقافي المتباين من جهة إلى أخرى، وتزداد صعوبة العمل الإعلامي في القرى على وجه الخصوص لقلة فرص تواصل القرويين مع الإعلام، دون الحديث عن الإكراهات التضاريسية، ومن ذلك مثلا إشكالية اللغة، فكلما كان الصحفي ملما باللغة واللهجات المتداولة، كلما سهل عمله وتواصله مع الساكنة، كما يمنح ارتياحا مهما للسكان مع طاقم التصوير، فثمة مناطق عديدة لا يعرف سكانها لغة سوى الأمازيغية، بل حتى اللغة هذه، تختلف لهجاتها من مكان لآخر، مثلا منطقة ورزازات تشبه لهجتها الأمازيغية تلك المتداولة في منطقة سوس، وكلما انتقلنا من قلعة مكونة إلى ما بعد تنغير تشبه لهجة سكانها الأطلسية. أضف إلى هذا كون الدارجة المغربية لا يتقنها الكثير من السكان القرويين، ما يجعل مسألة اللغة عنصرا مهما للتواصل مع السكان، وعاملا في إنجاح المهمة الإعلامية.

في صحراء زاكورة:

تبدو مدينة زاكورة هادئة طوال السنة، ولا يكدر ذلك سوى حرارتها المفرطة في فصل الصيف، حكاية سكان المنطقة معها عادية ومألوفة، فالبعض يسافر صيفا إلى مناطق أقل حرارة، كقلعة مكونة وبومالن دادس لكونهما جبليتين وقريبتين مسافة من زاكورة، يكتري الكثير من المواطنين فيهما الشقق المفروشة. وتزداد مشقة الحرارة في شهر رمضان صيفا، حينها يصعب العمل الميداني أمام درجة حرارة مرتفعة، نحاول نحن الطاقم الاعلامي، مضاعفة المجهود، وتأخير التصوير لما بعد الزوال وقبل الإفطار قدر الإمكان، إضافة للتسلح بطرق تقليدية، مثل تبليل الطربوش أو الطاقية بالماء لوضعها على الرأس، والهروب إلى الظل كلما سنحت الفرصة، خاصة في تصوير خارجي مئة بالمئة. قد ننهي التصوير لنجلس في انتظار أذان المغرب، كل يترقب بشغف شرب جرعة ماء، نتمازح مع بعضنا أو مع من رافقنا في التصوير، إن كان يعرف مؤذن المسجد ليؤذن يومها باكرا من شدة العطش، وغير ذلك من الأجواء الحميمية في شهر الصيام خلال الصيف.

في التنقلات الميدانية البعيدة ليوم أوأكثر، نضع دليل تصوير الربورطاجات المؤقت من الصباح حتى المساء، كما يمكن إضافة تصوير جديد طارىء أو حذف آخر حسب الإمكانية، أحيانا نصل إلى تصوير خمسة ربورطاجات في اليوم وهو رقم كبير ومهم، يبين مدى المجهود المبذول من طرف الطاقم وكذا الإنسجام، لأن طبيعة المهنة وصعوباتها وتوقيت إنجاز كل ربورطاج، أشياء لابد من إيلائها الأهمية للوصول إلى رقم كبير في عدد الإستطلاعات المصورة، هذا الرقم تأتي أهميته الإيجابية أيضا، في كونه سيحيل الطاقم فيما بعد إلى شبه راحة فيما يلي من أيام، لأن العمل سينحصر فقط داخل المكتب من أجل العمليات التقنية مثل التوضيب وتسجيل التعليق، هذا طبعا مالم يستجد حدث أو خبر مهم يستحق التصوير في حينه.

إتسم طاقمنا الشاب، الصحفي والمصور والسائق المساعد، بخصوصية مستحبة، نزولنا نحن الثلاثة في فندق ما، يكون أحيانا في غرفة كبيرة واحدة، إستغرب لذلك بعض المشتغلين في قطاع الإعلام.



على ضفة وادي درعة بإقليم زاكورة في إحدى الأيام الشتوية

لكون العلاقة أحيانا بين عناصر الإعلام السمعي البصري تكون غير منسجمة. أثناء اشتغالنا في الملتقيات والمهرجانات. يكون الوضع أشبه بفترات الخيمات. والذين خاضوا تداريب فيها. يعرفون أهميتها في بناء الشخصية والإلتزام بالعمل وبالبرنامج مع الإحساس بالمسؤولية. صحيح أن الناس يختلفون في طباعهم الإنسانية وكذا في ظروفهم الصحية وغيرها من الإعتبارات. تبين تلك المبادرة مدى الإنسجام وانصهار المشاكل إن وجدت. كما تدفئ العلاقة وتحسنها وتجعل الأجواء أكثر مرحا وجمالية. الكثير من المواقف المضحكة داخل الغرفة والنقاشات في مجالات الحياة. تجعل العمل فيما بعد يتسم بالجدية والاجتهاد. فلا يصير مجرد وظيفة بل حبا وعشقا لرسالة نحملها. تصوروا مثلا. حين نصطف نحن الثلاثة أثناء فتح باب غرفة الفندق. وكل واحد منا يتربص للإنقضاض على أجمل سرير. تسابق وتساقط على السرير يفجر الكثير من الضحكات. إضافة لذلك كله. الإلتقاء في مكان واحد يجعل عناصر الطاقم قريبين من بعضهم البعض إستعدادا لأي تحرك.

يستحسن في نظري أن تكون عناصرالأطقم الإعلامية الميدانية شابة. نظرا للمشاق التي تكون في الميدان من صعوبات في التصوير. مثل قساوة المناخ حرارة أو بردا. وأيضا بفعل طول التنقلات وصعوبة المسالك وغير ذلك من الأشياء. كما أن الطاقم الشاب يكون أكثر حيوية للتفاعل مع حدث قد يكتسي صعوبة بدنية وقدرة في التحمل. أو يتطلب سرعة التنفيذ. أضف إليها عقلية جيل واحد. تجعل العمل أكثر تجانسا.

وأسرد هنا ستة أيام عصيبة اشتغلنا فيها إبان حادث سير الحافلة التي انقلبت بمنطقة تيشكا وخلفت ضحايا كثر من إقليم زاكورة. فصبيحة يوم الحادث صورنا ربورطاجا عن بعض الجرحى بمستشفى ورزازات. ثم آخر بمحطة المدينة لمعرفة ردود الفعل فيها. وفي اليوم الموالي إتجهنا صوب مدينة زاكورة لتغطية تشييع الجثامين التي فاقت العشرين. خرجنا يومها من ورزازات الساعة الثالثة صباحا ووصلناالساعة السابعة. وكلنا إرهاق. بيد أن يوما حافلا ينتظرنا. فالمدينة صارت مركز الحدث الوطني بإيفاد بعثة خاصة من المقر المركزي للقناة لدعمنا في التغطية. بمجرد الوصول تناولنا الإفطار ثم قمنا بتصوير ربورطاج حول وصول الجثامين ودفنها ذاك الصباح. تلتها مراسلة مباشرة من المدينة في الأخبار الزوالية.

والمراسلة المباشرة بدورها.تتطلب تقنيات أكبر. أهمها الإعداد الجيد لمحور المراسلة. والإلمام بتقنيات الحديث إلى الكاميرا دون دهشة أو إرتباك. وهي أمور تكتسب مع الممارسة بشكل أفضل.

بعد زوال ذلك اليوم. أنجزنا ربورطاجا آخر عن الأسر المكلومة التي ودعت موتاها لبثه في نشرة الأخبار المسائية. في اليوم الموالي زيارة لمحطة مدينة زاكورة لتصوير ربورطاج حول تداعيات الحادث. عدنا بعدها إلى ورززات في المساء. ولم تقف التغطية للحدث هنا. بل واصلنا تصوير الأسر وعائلات ضحايا حادث السير لإبراز معاناتهم. ومن أجل ذلك عدنا إلى زاكورة صبيحة اليوم التالي فأنجزنا المهمة وعلامات العياء بادية على كل فرد من الطاقم. ثلاث ساعات أو أربع كانت معدل ساعات النوم في تلك الأيام.

وما أن تفاءلنا بالإستراحة بعد ذلك. حتى كان حدث احتراق المآت من نخيل إقليم طاطا. فجاءنا الأمر لتغطية الحريق والسير لمسافة أربعمئة كيلومتر ذهابا وأخرى إيابا. أحيانا لا يعرف المشاهد أثناء البث الكثير من هذه الأمور. من كواليس العمل أو إكراهاته التي تتطلب صبرا واستعدادا بدنيا ونفسيا كبيرا. وانسجاما بين عناصر الطاقم. ففي أسبوع واحد قطعنا فيها أكثر من ألفي كيلومتر. ومجرد التنقل هو أمر متعب. فكيف وهو جزء فقط من العمل؟ فهناك التصوير ثم التوضيب وبعدها التحرير والتعليق. دون الحديث عن هاجس الزمن. الذي تنتظر فيه إدارة التحرير وصول موادنا الإخبارية تحت ضغوط الوقت والبث وغيرها من العوامل التي تكتسب من خلال التجربة.

قبل أن تكون زاكورة إحدى الأقطاب السياحية بالجهة في العصر الحاضر. كانت فيما مضى منطقة استراتيجية على الصعيد الدولي. في نطاق العلاقات التجارية. حيث لعبت درعة دورا مهما في التبادل التجاري لكونها ممر عبور القوافل. بين المغرب والصحراء أو حتى بين أوروبا وبلاد السودان كما يسمى الجنوب سابقا. وفي مركز مدينة زاكورة لوحة جدارية تشير إلى المدة الزمنية التي كانت تقطعها القوافل منها صوب مدينة تومبوكتو بدولة مالي. في مدة اثنين وخمسين يوما. كان الذهب والعبيد والملح مثلا من أهم العناصر التجارية في ذاك الزمن. خاصة في القرن الحادي عشر حتى القرن السادس عشر.فلكونها ممر استراتيجي أثر ذلك على درعة في عدة ميادين إجتماعية وثقافية

واقتصادية. زاكورة اذن هبة نهر درعة وعلى طول ضفتيه انبلجت حواضر ودواوير. وقصور وقصبات.

الصحراء صاد وحاء وراء وألف وهمزة. قد تختزل كينونة الإنسان في وسط هش للسكن. بيد أنه أكثر عمقا في جذره بالأرض. من حبة رمل إلى أخرى يتنقل الصحراوي على قدميه أو فوق راحلته. يسيح بعينيه في ملكوت لا متناهي. في الصحراء نشعر نحن من اعتدنا على الغذاء السريع والحياة السهلة والجنون المدني والنقرة تلو النقرة على الكومبيوتر بعالم مختلف. هنا تكون الحياة على سجيتها وطفلة نداعبها كل وقت وحين. ونستشعر فيها معنى أن يمر اليوم شهيا جميلا. مثقلا بمشاعر الإنسانية الأصيلة. المشاعر الجميلة تلك. تمتزج بها مشاغل العمل وتكسر جماليتها أحايين أخرى. ففي إحدى التغطيات الميدانية بإقليم زاكورة. كنا ملزمين بالعودة إلى ورزازات الساعة العاشرة ليلا بعد يوم ونصف من العمل. في إطار مهرجان بمحاميد الغزلان.

والمسافة إليها بمعدل أربع ساعات من ورزازات. قضينا المدة بالمحاميد في عمل مستمر. أنجزنا فيه أربع مواد إخبارية بعد توغلنا إلى صحراء المنطقة. حيث إلتقينا أسرا رحالة هناك بين التلال الرملية. كانت ثمة متعة في العمل والإستمتاع بمناظر لا نراها كثيرا. يقبل عليها السياح من أقاصي الأرض. وهي بين ظهرانينا. بعد ذاك العمل كان التعب باديا علينا. وأربع ساعات من السير تنتظرنا ليلا. تناولنا العشاء ثم خرجنا حوالي الساعة الحادية عشر. شخصيا أتتني نوبات النوم بين الفينة والأخرى. قاومت كي لا أؤثر على معنويات السائق. قلت للسائق: "لو أحسست بالتعب نتوقف لنيل قسط من النوم ثم نكمل السير". وهذا ماكان. وصلنا أكدز بعد حوالي ساعتين ونصف من السير. ثم نمنا ساعة في الخلاء جنب الطريق. واصلنابعدها السير لنصل إلى ورزازات حوالي الساعة الرابعة صباحا. وفي التاسعة صباحا إستيقظت للقيام بعملية التوضيب أو المونطاج لمادة مهرجان المحاميد في زمن يقارب الساعة. بعد ذلك قمت بتحرير وكتابة التعليق الذي يسجل فوق الصور لتكتمل المادة الإخبارية. التي أرسلناها لقسم الأخبار حيث تم بثها في النشرة الزوالية.



المصور يلتقط بالعدسة مشهدا من على قنطرة خشبية

سيرورة العمل تلك، تحكم فيها الزمن حيث كنا ملزمين باحترام مواقيت مغادرة ورزازات والرجوع إليها. ننضبط لما يسمى إداريا:"الأمر بالمهمة"، المرسلة إلينا من طرف الإدارة المركزية، في حالة تجاوزها سنكون موضع استفسار. ما يستدعي في التنقلات الإنضباط لمواعيد العمل، والتحكم فيها في إطار تعاوني بين أفراد الطاقم، فمدة التنقل أحيانا غير كافية لإنجاز ربورطاجات كثيرة رغم أهميتها، وأحيانا نقاوم الزمن لتصوير ربورطاجات تثيرنا مادتها أو تكون ذات أهمية كبرى لدى السكان.

من التغطيات التي قمنا بها في امحاميد الغزلان ايظا، تغطية مشكل اقتلاع مجموعة من أشجار النخيل، وزارة التجهيز والجماعة القروية قررتا إنجاز طريق معبدة وسط دواوير المنطقة داخل الواحة، ما يعني اقتلاع العديد من أشجار النخيل، فكان الإنقسام بين مريد لمصلحة الطريق للتمكن من التنقل نحو المستوصف والمدارس وغيرها، وبين المدافعين عن عدم اقتلاع الأشجار بدعوى حماية البيئة.

ثلاث ساعات قضيناها في تصوير هذا الموضوع، قبل ذلك كنت أظن العملية سهلة من خلال ما عرفته في الأنترنت والمكالمات الهاتفية، وعلى الواقع كانت أشياء أخرى، ما أن بدأنا عملية التصوير حتى بدأت الصراعات، بين أحد الأطراف المدافعين عن أشجار النخيل ومجموعة من السكان، الكل يرغب في أخذ رأيه هو الأول وعدم إيلاء الإهتمام للطرف الآخر، كانت هناك أطراف المدافعين عن النخيل، وعن الطريق، والجماعة، ومديرية التجهيز، فكيف سيتم إنجاز ربورطاج من دقيقتين حول هذا الموضوع؟

حاولنا قدر الإمكان عدم التفريط في أي طرف يريد التحدث، بمنحه الوقت الكافي للشرح رغم تضييع الكثير من الوقت في ذلك، كان من اللازم التحلي بصبر كبير أثناء تسجيل التصريحات، أي طرف يتحدث عن موضوع ما أحاول تصويره وتوثيقه، مثل من يقول إن التقنيين اقتلعوا النخيل بطريقة بشعة، ومن يقول إنه قد تم الإهتمام بها بإعادة غرسها، فكل عنصر يحاول الإستمالة إلى وجهة نظره التي يراها الصحيحة مفندا رؤية الطرف الآخر.



عملية البحث عن الفتى الغريق بوادي درعة من طرف عناصر الوقاية المدنية

في مثل هذه الإشكالات التي وقعت في الكثير من الحالات، يحاول أحد الأطرافدعوتنا إلى وجبة غذاء أو مجرد جلسة شاي، هو أمر مميز فينا نحن المغاربة بكرم الضيافة، غير أنه في مثل هذه الحالة، نشكر الداعين ونرفض بكل لباقة، لأن أي قبول للدعوة سيثير الكثير من التساؤلات ونحن في غنى عنها، أو أن يطلب أحد الطرفين الركوب معنا للتنقل نحو وجهة التصوير، في حينها نجيب برفق، بعدم إمكانية الركوب معنا لظروف إدارية صرفة، ولا يجب الخجل من ذلك، فالطاقم مطالب بالجرأة في عدة مواقف.

بعد بث الربورطاج، لابد من انتظار طرف ما لن يقتنع بالمادة وأحيانا كل الأطراف، فالقاعدة تقول:لا يمكن إرضاء جميع الناس، لأن نظرة كل واحد منهم ليست نظرة الآخر، كما ليست نظرة الصحفي، الذي يولي الإهتمام لعدة عوامل أخرى كالمونطاج والتحرير، وإعطاء كل طرف حقه، وزمن المادة ككل وغيرها من الإكراهات.

وبالمنطقة نفسها في إحدى المناسبات، كنا ضيوف مهرجان تراثي وثقافي بالمنطقة، كان ذلك الحدث البارز، فجأة إنقلب إلى حدث ثان، بعد غرق أحد شباب المنطقة في وادي درعة إثر فيضان مياهه بشكل غزير في موسم شتوي، كان الشاب يحاول البحث عن دراجة نارية تم فقدانها أمام صعوبة اجتياز الوادي، فغامر بحياته، لتتحول مادتنا الخبرية الأولى من مهرجان إلى غرق شاب أمام ضعف البنية التحتية، خاصة إنعدام القنطرة، بتصويرنا ذاك الحدث، إتصل بي أحد المسؤولين بالمنطقة فقال مازحا، إن الكوارث لا تقع إلا بمجيئنا.

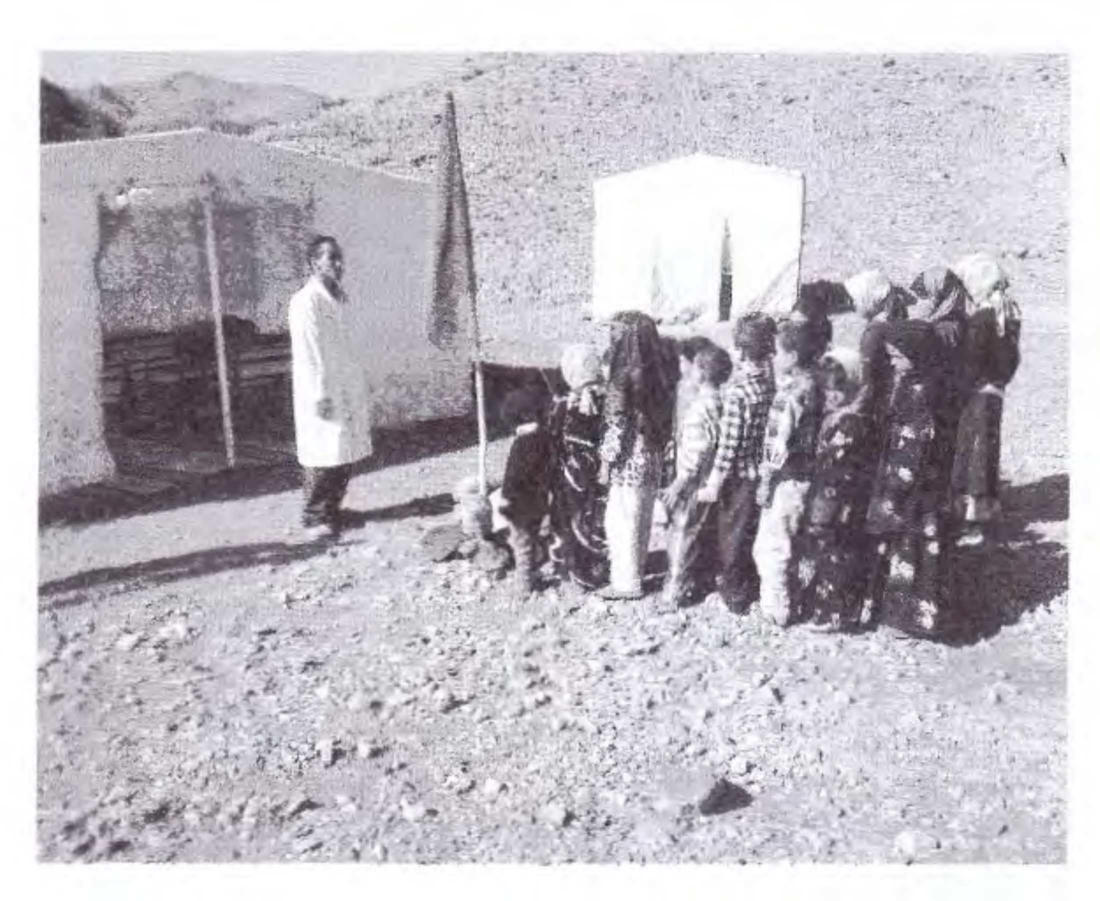
المبيت بمدرسة محمولة:

كنا مع أطفال مدرسة الرحل في بداية موسمهم الدراسي وبداية التجربة ككل. أطفال في ريعان الزهور إستطاعوا فك طلاسم الحروف وحفظ القرآن وترديد الأناشيد. ولعب المسرح ورسم أجمل اللوحات بأناملهم التي اعتادت شقاء الترحال.

الهواء الطلق يسود المكان والنسيم يدغدغ أحاسيسنا. صورة جميلة بين أحضان الطبيعة الجبلية الصعبة والوعرة. أضفت عليها ابتسامات الأطفال رونقا جميلا. براءة من نوع خاص بمنطقة إكنون في مرتفعات جبال صاغرو. حوالي عشرين تلميذا وتلميذة إلتحقوا بمقاعد الدراسة. لأول مرة في حياتهم. كلهم حماس كما الشأن نفسه لدى آبائهم الذين فرحوا بالمبادرة. مادام أبناؤهم استطاعوا الوصول إلى مستوى لم يصلوا إليه.

لقد قام معلم التلاميذ. الأستاذ يوسف بعمل جبار في تدريس الأطفال. بل تعدى ذلك الى تدريس الآباء دروس محو الأمية. وهوالمكلف أيضا بتجهيز وجبات التلاميذ الغذائية يوميا. مثل تهيىء الخضر والقطاني وغيرها.أستاذ متعدد الوظائف.كان اختياره بطريقة غير عادية. بعد توزيع مذكرة على صعيد نيابة وزارة التربية الوطنية بورزازات. ترشح لها أربعة اساتذة. وتم انتقاء أستاذ عازب مستعد للترحال مع الأسر الرحالة أينما ذهبت. لتحمل صعوبات العمل وغيرها. فوقع الإختيار على يوسف الذي أبدى حماسا واضحا لقبول العملية.

يبتدئ الموسم الدراسي لمدرسة الرحل في شهر يوليوز وينتهي في شهر ماي. فالأطفال يتبعون أسرهم في حلهم وترحالهم. لا يكادون يستقرون في مكان. هنا جاءت فكرة مدرسة الرحل. لتكون جنبا إلى جنب مع أولئك الأطفال. إذ ما تزال بالمنطقة العديد من الأسر. تعيش على الترحال والرعي. وإن صارت تتناقص بشكل مستمر. حيث تلجأ أسر كثيرة إلى الإستقرار نظرا لصعوبة هذا النمط من الحياة.رحل لا يعرفون سوى الأمازيغية للتواصل. ويحملون على ألسنتهم مشاكل شتى عن التنقل. وظروفا صعبة لا يرغبون استمرارها مع أبنائهم. أسر لا تعرف سوى يوم الإثنين. موعد السوق الأسبوعي بقرية إكنون.



التلاميذ الرحل رفقة أستاذهم قرب القسم الدراسي المحمول

ألسنتهم مشاكل شتى عن التنقل، وظروفا صعبة لا يرغبون استمرارها مع أبنائهم. أسر لا تعرف سوى يوم الإثنين، موعد السوق الأسبوعي بقرية إكنون.

فكرة المدرسة حسب المنظمين كانت منذ سنوات مضت، وعراقيل بعض المسؤولين فأقبرت العملية، حتى جاء موسم ٢٠٠٩/٢٠١٠ لتنفيذ الفكرة، من طرف نيابة التعليم بورزازات وجمعية إسبانية وأخرى محلية. وكان من الصعب أيضا على الأسر الرحالة تقبل الفكرة في البداية، بترك أبنائهم يذهبون للمدرسة دون الإستعانة بهم في الرعي.

تصوير مدرسة الرحل لم يمر دون مغامرات، في جو رمضاني تخللته تقلبات جوية ماطرة، فبعد تحديد المواعيد مع مدير المدرسة الذي يشتغل بعيدا عنها، كانت الإنطلاقة نحو خيمة الرحل وجدنا أمامنا أحد العوائق المتمثل في جريان مياه الوديان على غير العادة. تجاوزنا بعضها، وكان من الصعب تجاوز أحد الوديان ولو بسيارة الدفع الرباعي، إذ تهدم الممر الخاص بالسيارات فيه كليا. حاولنا في البداية المرور ففشلت التجربة، بدا وكأنا ندخل إلى بحيرة كبيرة، وبحكم مسؤوليتي على طاقم التصوير، طلبت من زميلي العودة، فاقترح السائق المساعد مواصلة المحاولة، قائلا إنه من غير المعقول الوصول إلى هذه النقطة لنتراجع دون تصوير أية مادة إخبارية. كان أكثرنا تحديا ووثوقا بقدراته في السياقة، زادته حماسة أهل المنطقة الذين ساعدونا في إزالة الأحجار. مدير مدرسة الرحل الذي لبس بدلة جميلة وربطة عنق، بدوره شمر عن ساقيه فنزل إلى الوادي ليزيل الحجر تلو الحجر، رغبة وتحمسا لإبراز مبادرة أطفال الرحل عبر القناة، واستطعنا فعلا اجتياز الوادي بنجاح.

وبعد ذلك، ما عاد المدير يتذكر مكان الخيمة/المدرسة، بحثنا عنها وكدنا نتيه بين جبال صاغرو الممتدة، والرؤية بدأت تضعف بحكم اقتراب غروب الشمس،آثرنا العودة إلى أقرب دوار حيث توجد التغطية الهاتفية، هناك اتصل المدير بمعلم مدرسة الرحل الذي قدم لمرافقتنا. وللأسف وصلنا المدرسة في المساء بعد أن خيم الظلام، وكان لزاما علينا المبيت هناك.

لقد بتنا في القسم الوحيد المخصص للتدريس، أو بالأحرى في تلك الخيمة، فيها أفطرنا من ما جلبناه معنا من حليب وتمر وعصائر اصطناعية، ثم قدم لنا الرحل وجبة العشاء، عبارة عن لحم مشوي في



الأستاذ يقدم للتلاميذ الرحل إحدى الوجبات اليومية

قضبان مع الشاي، كان عشاءنا ووجبة سحورنا. أمسية رمضانية بطعم خاص في أجواء جميلة غير عادية. في بيئة خالية إلا من بعض خيام الرحل هنا وهناك. داخل خيمتنا لم تكن ثمة أغطية كافية. لأننا لم نكن نتوقع المبيت هناك. صارت اللطائف والطرائف سيدة الحديث. كل إناء رشح بما فيه حتى جاءت لحظات النوم. وكنا نتقاذف الأفرشة ونجرها فيما بيننا في تلك الليلة الباردة إلى أن حل الصباح. حيث صحونا وكلنا حيوية. كما لو أننا نمنا يوما كاملا.

بحلول الصباح اشتغلنا بتفان كبير.كل منا أحس بجمالية التجربة وأهمية الموضوع. أطفال في عمر الزهور يتلقون أولى أبجديات التربية. لم نعد حينها إلى ورزازات إلا وفي جعبتنا أربعة ربورطاجات إخبارية في ذاك النهار. عن الأطفال وأستاذهم وحياة الرحل.

أنفة نساء القرية:

بعيدا عن أمور المناصفة والمساواة وغيرهما. بعيدا عن مغرب يعرف حركة نسوية تضج بالسياسة ومشتقاتها. وقريبا من نساء القرى والجبال. المرأة القروية أو الريفية منذ القدم. لعبت دورا كبيرا في التربية والنشء. والكفاح إلى جانب الرجل. بيد أنها اليوم أضافت جديدا إلى سيرتها الذاتية. رغم أنها احيانا كثيرة. امرأة أمية لا تعرف القراءة أو الكتابة. إلا أنها امرأة عصامية واعية تمام الوعي بدورها الحياتي. إمرأة رسمت صورة مختلفة وجديدة. على الأقل في بعض المناطق. إمرأة صارت تضع حدودا للصورة النمطية عنها. لامسنا عمق تجربتها من خلال نساء شمرن على سواعدهن وأفكارهن. بل وأشركن نسوة أخريات في دواويرهن. بتأسيس الجمعيات والتعاونيات. خلقن عبرها مشاريع اجتماعية واقتصادية. لتصبح المرأة إضافة لكونها تشتغل في المجال. تسيره كما في أي قطاع.

ليست المرأة هنا مجرد ربة بيت. ولو أن قمة العطاء يكمن في تربية الأبناء وجيل جديد للأمة. رغم ما كان يكتب في بعض أوراق التعريف في خانة مهنتها: "بدون". المرأة هنا محور الإقتصاد بعينه. رغم كون المجتمع ذكوريا بامتياز. تكد في بيتها وفي مختلف الأنشطة الجمعوية التي تابعناها فيها. تكون فيه مؤسسة المشروع. تدبره وتسيره وتشتغل فيه. في ظروف مناخية وتضاريسية وبنيوية صعبة. تحتفي معك بمشروعها لتحكي فقط عن مشاكل تسويقه. كما هو السأن في عدة اعمال يدوية. عشرات الجمعيات والتعاونيات بالمنطقة تحفل بمنتوجات النساء في شتى المجالات تلقى عراقيل في التسويق. أي. أين ومن يشتري منتوجاتها بأثمنة معقولة بعيدا عن الوسطاء؟

إستطلاعاتنا المصورة في مناطق درعة. أخذت فيه المرأة حيزا مهما. خاصة في العالم القروي. بإبراز أنشطتها ومشاريعها. وإن كانت بصور بسيطة. فالكثيرون أحيانا لم ترقهم الإستطلاعات حول نساء ذوات مشاريع متواضعة مثل تربية الماعز. نتساءل هنا. أليس من حق أولئك النسوة أخذ نصيب ما في إعلامهن الوطني؟ ألا يمكن أن يكون بث مثل مبادراتهن تلك. خطوة لتحريك نسوة أخريات في شتى مناطق المغرب؟



سيدة تحمل رضيعها و تحمل الحطب أيضا على ظهرها بإحدى مناطق تنغير

فـي كـل دقـيـقـة وبرهـة. فـي كـل سـاعـات الـيـوم. مـا بـين فـجـر يـتـسـلـل مـن لـيـل كـالـح الـسـواد. حـتـى مـوعـد شـفـق أحـمـر يـداعـب نـسـائـم المـسـاء مـن جـديـد. تـنـبـلـج حـكـايـة امـرأة تـربـت عـلـى عـرش الـكـدح والجـد. مـخـاضـاتـهـا لا تـنـتـهـي ودواليـب الحـيـاة لـديـهـا لا تـكـاد تـهـدأ. غـيـر أنـهـا تـعـودت فـروضـت قـسـوة الحـيـاة كـخـاتم فـي أصـبـعـهـا. تجـارب لـم تـتـلـق عـنـهـا تـكـويـنـا دراسـيـا ولا شـهـادات جـامـعـيـة. سـنـة الـلـه فـي أرضـه أن يـجـعـل ذاك الـكـائـن الـصـغـيـر والـرقـيـق.نـواة تـتـمـحـور حـولـهـا دورة الحـيـاة. ورغـم كـل ذلـك فـهـي تـصـنـع الـتـاريـخ مـن أوسـع أبـوابـه. فـأن تـنـجـب وتـنـشـىء أبـنـاءهـا يـعـنـي أنـهـا تـبـصـم بـأنـامـلـهـا فـي سـيـرورة الـتـاريـخ. ولـو أنـهـا لاتـدري. فـكـيـف وهـي تـسـهـم فـي تـنـمـيـة مـنـطـقـتـهـا؟

أحـيـانـا أخـجـل مـن نـفـسـي وأنـا أصـافـح يـد امـرأة مـن هـؤلاء. يـدهـا المـعـطـاء قـد تـخـلـلـتـهـا صـروف الـدهـر وحـفـرت فـي بـصـمـا تـهـا كـأنمـا هـي لـوحـة تجـمـع الـزمـن فـي راحـتـهـا. تـلامـس راحـتـي الـرطـبـة الـتـي مـا قـاسـت مـثـلـهـا الأشـواك ولا ثـقـل الأحـمـال. ومـحـن الـوديـان والجـبـال. حـيـاة وإن كـانـت بـقـسـوة بـرودة المـرتـفـعـات أو حـرارة الـصـحـراء. وانـقـطـاع الـطـرق والمـؤونـة وغـيـاب المـصـحـات والـبـنـيـات الاجـتـمـاعـيـة. لـكـنـك تـكـاد تـنـدهـش حـين تـراهـا رغـم ذلـك تـسـتـقـبـلـك بـابـتـسـامـة تـنـتـصـر عـلـى الـفـقـر والـبـؤس والجـفـاف. مـادامـت دمـاؤهـا تـنـتـصـر عـلـى جـفـاف الـقـلـوب.

سـألـت مـرة سـيـدة تـقـوم بـنـسـج الـزرابـي عـن ثـمـن بـيـعـهـا فـي الـسـوق فـتـجـيـب دون تـردد. إنـهـا لا تـعـرف وغـيـر مـعـنـيـة بـذلـك. لأن الـزوج أو الأب هـو المـسـؤول عـن تـسـويـقـهـا. الـزربـيـة الـواوزكـيـتـيـة المـعـروفـة بـألـوانـهـا وأشـكـالـهـا ودلالاتـهـا وصـبـاغـتـهـا الحـرة الأصـيـلـة. رحـلـة طـويـلـة مـن المجـهـود الجـبـار قـد تـدوم سـبـعـة إلـى ثـمـانـيـة أشـهـر لإنجـازهـا. حـتـى ثـمـن بـيـعـهـا فـيـمـا بـعـد. بـعـض الـنـسـوة لا يـكـتـرثـن لمـعـرفـتـه. تـقـول تـلـك الـسـيـدة بـكـل بـسـاطـة. إنـهـا لا تـريـد إضـافـة حـمـل هـم جـديـد.إلـى هـم الـنـسـج وكـل أشـغـال الحـيـاة الـقـرويـة.

هـي إرادة الحـيـاة الـتـي مـازالـت أغـنـيـة تـغـنـيـهـا الـنـسـوة كـل يـوم بـلـحـن مـخـتـلـف. وإيـقـاع يمـتـزج بـين الـفـرح والـشـجـن.



طفلات صغيرات يغسلن الثياب بأحد الوديان في طقس بارد

تهديد بتكسير الكاميرا:

تستوجب مهنة الصحافة لدى الصحافي اليقظة على الدوام، مخافة أن يجد نفسه في موقف محرج قانونيا أو اجتماعيا أو من طرف إدارته. يحاول الكثيرون استغلال مكانة الصحفي ومنبره للوصول إلى أهدافهم مستغلين حسن النية. وقد يسير عمل الصحفي في أفضل حال حتى يجد معطى ما، يثير علامات استفهام في المادة الإخبارية، لغياب جزئيات ما عن الصحفي أثناء التصوير أو بسبب تغييبها عنه، دون إدراك الصحفي للأمر في أوله. ومع توالي التجارب، يصبح الصحفي أكثر يقظة في حياته المهنية.

في جماعة تمارت بإقليم طاطا المجاور لإقليم ورزازات جنوبا، وبعد تصويرنا ربورطاجا عن مشروع لتزويد دوار بالماء الشروب، فوجئنا بفاكس أرسله كاتب مجهول الإسم والعنوان والتوقيع، وسماه: تعرضا. سرد فيه مفاجأته هو وسكان الدواركافة بتصويرنا ربورطاجا حول مشروع الماء، رغم فشل الجمعية المشرفة في تدبيره، وإن ما صورناه كذب وبهتان وزور، ثم حملنا المسؤولية الأخلاقية في ذلك، مضيفا إن الجمعية تلك، لم تعقد جمعها العام منذ سنوات، وأشياء أخرى ختمها في تعرضه، بأن تصوير الربورطاج لابد أن يكون بقرار من الجمع العام للجمعية.

فوجئت بالتعرض لعدة أشياء، فرئيس الجمعية أعرفه منذ سنوات، وأثناء عملية التصوير في طاطا لم يقترب منا أي شخص في الدوار ليضعنا في تلك الصورة السلبية حسب التعرض، حيث صورنا أمام أعين الناس، والتقينا حينها أيضا قائد المنطقة، فلم يتطرق لأي شيء من هذا القبيل.

أول ما قمت به بعد ذلك، إتصلت برئيس الجمعية الذي وضعته في الصورة بشكل واف، فأجابني أنها لعبة قديمة لأحد سكان الدوار الذي يغيظه استمرارية الجمعية في إقامة مشاريع بالمنطقة، أرسل لي بعدها توضيحات، بأن شكاية المتعرض هي لعرقلة مشاريع الجمعية، وإن الهدف من التصوير اصلا، هو التعريف بالمشروع وتعبئة الفاعلين التنمويين للمشاركة فيه وإنهاء ما تبقى من أشطره.بعد ذلك استفسرت قائد المنطقة هاتفيا لأتأكد أكثر من التعرض الذي أرسله الشخص المجهول ذاك، كان بلغة جيدة.

ومكتوب بواسطة حاسوب. غير أنه لم يسجل لا إسمه ولا رقم هاتفه أو أية معلومة عنه. للتواصل معه ومناقشته الأمر.

ومن المواقف الأخرى. محاولة تغطيتنا لاعتصام عمال قرب مقر عمالة ورزازات. المعتصمون هنا موالون لإدارة شركتهم وهم فقط طرف في الموضوع. قاموا برد فعل أمام عمال آخرين من الشركة نفسها أقاموا اعتصاما مفتوحا بدورهم بضواحي تزناخت.كل طرف يتهم الآخر بعرقلة سير العمل داخل مؤسستهم التي يشتغلون فيها. بعد اتصالاتنا بالطرفين وتحديد المواعيد. إرتأينا البدء بتصوير المعتصمين في ضواحي تازناخت. نظرا لبعدهم عن المدينة واحتياطا لظروف طارئة. فصورنا لقطات الإعتصام خارج سياج الشركة. وبعد دقائق. جاء نحونا المكلف بالأمن الخاص للشركة. فناولني هاتفه المحمول ليتحدث معي أحد مسؤولي الشركة. كانت كلماته مهددة ومستفزة دون أية لباقة واحترام. طلبه كان أمرا شديد اللهجة بمغادرة المكان فورا وإلا سيتم تكسير الكاميرا. لم أناقشه في الأمر لأن عصبيته لم تكن تسمح بحوار هادئ لفهم الأمر. إبتعدنا عن مكان الشركة مسافة معينة. وحراس الأمن مازالوا يتبعوننا. جاء إلينا ثانية أحد حراس الأمن ليخبرني بأن أحد المسؤولين يريد التحدث إلي. كان شخصا آخر. ولهجته لينة عكس سابقه. فحاول إخباري بأن تصوير المعتصمين قرب المؤسسة فيه خطورة. ثم أكد علي الإكتفاء بتصوير المعتصمين بقرب عمالة ورزازات.

بعد علم أعضاء نادي الصحافة بورزازات بالأمر. أصدروا بيانا للرأي العام حول الحدث. كما أن نقابة المستخدمين المعتصمين التي نسقنا معها في هذا الموضوع ومع أعضائها بضواحي تزناخت. أصدرت هي الأخرى بيانا تشكر فيه كل الهيئات التي وقفت إلى جانبها. وكل أنواع الصحافة بالإسم. من مكتوبة وإلكترونيةومسموعة دون المرئية. ودون الإشارة لأية كلمة عما حدث لنا أثناء التصوير رغم كون ذلك في صالحهم إعلاميا.

نص الخبر الذي أصدره نادي الصحافة وتداولته مواقع الانترنت: (تم حذف اسم الشركة)

تعرض طاقم مكتب القناة الثانية بورزازات للمنع والتهديد من طرف إدارة المنجم أثناء قيامهم بتصوير إعتصام عمال .... (نواحي ورزازات) وذلك يوم الثلاثاء 26 يوليوز 2011 بعد الزوال. «فبعد شروع طاقم القناة الثانية

في التصوير واستجواب أحد العمال. تدخل حارس الأمن لمنع إتمام التصوير. وسلم هاتفا لصحافي القناة لتلقي مكالمة هاتفية. مباشرة بعد نهاية المكالمة غادر الطاقم المنطقة وعلامات عدم الرضى تبدو على وجوههم» حسب بيان لنادي الصحافة توصلت ورزازات أونلاين بنسخة منه.

وأكدت مصادر مطلعة. أن تعليمات أعطيت من طرف إدارة .... إلى الحراس لمراقبة ومنع أي صحفي يقترب من محيط .... و أضاف البيان «تبين لنا في نادي الصحافة بورزازات أن فحوى المكالمة الهاتفية التي تلقاها صحفي القناة الثانية مفادها التهديد بتكسير الكاميرا ومطالبتهم بمغادرة المكان فورا من طرف إدارة ...».

يشار إلى أن المنع كان خارج ... حيث يوجد العمال المعتصمون. وتأتي مهمة طاقم القناة الثانية بورزازات حسب نفس البيان «لتنوير الرأي العام حول التطورات الخطيرة التي عرفها ملف عمال .... الذي حظي بتغطية إعلامية واسعة وهو مالم يرق لمسؤولي ... وتخوفهم من فضح التجاوزات الكثيرة» .

وندد نادي الصحافة بورزازات بهذا السلوك الذي طال مكتب القناة الثانية بورزازات ومنعهم من أداء مهمتهم . و استنكر كل ما يتعرض له عمال ... «من تنكيل و خرق لحقوقهم منذ سنوات مما يتنافى مع المواثيق الدولية واتفاقيات حقوق الإنسان وكل القوانين الوطنية والدولية» حسب ذات البيان.

تجدر الإشارة الى أن نادي الصحافة دعى كافة الهيئات الإعلامية والنقابية والحقوقية والأحزاب السياسية محليا ووطنيا إلى التنديد بهذه الممارسات التي نعتها ب» المشينة» في حق عمال ... وفي حق الإعلاميين والصحفيين. وأضاف في بيانه «خاصة وأنها تأتي بعد أيام فقط من إقرار الدستور الجديد الذي ينص على حق المواطنين والمواطنات فيالحصول على المعلومات. الموجودة في حوزة الإدارة العمومية. والمؤسسات المنتخبة. والهيئات المكلفة بمهام المرفق العام».

يتوجب الإنتباه إلى مجموعة من الأخبار. والإحتياط في بثها أو نشرها. قبل التأكد من صحتها والوثوق من مصادرها الرسمية الواضحة. مع إمكانية الحصول على إثباتات ذلك مكتوبة أو مسجلة. أحيانا تبدو الأمور لنا واضحة سهلة التناول لكنها تضمر ما لا نتوقعه.فهناك أشخاص لا يوضحون الصورة كثيرا خدمة لمصالحهم أو مؤسساتهم.

أذكر مثلا أثناء تصوير ربورطاج حول جفاف الضيعات الفلاحية بسبب قلة الماء. ألح أحد الفلاحين في تصوير إحدى الضيعات. على الرغم من عدم وجود أي شخص يفتح لنا بابها. فاضطر إلى القفز فوق بابها فاتحا لنا. واعتبرنا الشيء عاديا لأنه هو المسؤول عن مكان التصوير ويعرف مالكها. ثبت فيما بعد أن سبب عدم الإهتمام بأشجارها. هو نزاع قضائي أدى إلى جفاف ثمار أشجارها.

من المواقف كذلك. بعد أن قمنا بتصوير شاحنة محجوزة من طرف الدرك الملكي بضواحي ورزازات. كانت تنوي تهريب مجموعة من أشجار النخيل. بعد بث الخبر في القناة. زار مكتبنا شخصان يطالب أحدهما برفع الضرر الحاصل له. من خلال التشهير بشاحنته في الربورطاج الذي تناول خبر الحجز. قلت له أين كنت أثناء التصوير فأجاب أنه كان خارج المدينة. وبأن النخيل اشتراه من مالكيه. وذلك كله مثبت في العقود. طلبت منه الإتيان بها لإرسالها إلى إدارة القناة والقيام باللازم. ومنذئذ لم نره.

في أحد الأيام اتصل بي أحد الفاعلين الجمعويين لاقتراح فكرة ربورطاج علي. حول مؤسسة للقروض استطاع زبناؤها إحراز جوائز في خلق مقاولات. بعد استفادتهم من أموال مؤسسة القروض تلك. بعدها تمت زيارتي في المكتب للهدف نفسه. تلاها اتصال هاتفي آخر. هذه المرة من إدارة المؤسسة بالدار البيضاء. في لباقة جميلة لاستمالتي لإنجاز الربورطاج. تساءلت لم هذا الإصرار؟ فاكتشفت أن المؤسسة تسعى لحملة ترويجية إيجابية لصالحها. نظرا لقيام الكثيرين من زبنائها برفض صرف دينهم. إلى درجة الاحتجاج عليها ما أثر على سمعتها. المعنى هنا واضح. لا وجود لخطاب بريء.

مفهوم الموضوعية المطلقة في الأخبار. أو الحياد التام شيء غير واقعي حسب بعض الإعلاميين. حيث يرى الكثيرون بأن الصحفي لا يستطيع كليا. عزل نفسه عن اتخاذ موقف تجاه التطورات الإجتماعية والسياسية. فمفهوم الموضوعية يعني عموما أن يكون التقرير الإخباري أقرب ما يمكن إلى الواقع. وأن يتم التدقيق وإعادة التدقيق في الحقائق والأرقام. واستخدام التعابير بعناية ودعمها بالأدلة. والتوازن في المعطيات وعدم مزجها بوجهات نظر الصحفي.

يقول قيدوم الصحفيين العراقيين محسن حسين في مذكراته الصحفية: «لا توجد موضوعية في الأخبار كما يزعمون في الغرب. نحن الصحفيين وحيثما كنا ننشر الخبر الذي نريده في المكان الذي نريده وفي الوقت الذي نريده وبالصيغة التي نريدها. وهناك عشرات العوامل الأخرى التي تتحكم في الخبر والتي تجعل من الموضوعية خرافة يريدون أن نصدقها.» 4*



سيدة تقدم تصريحا في إحدى الوقفات الإحتجاجية بإقليم تنغير

ريبورطاج وررزازات في قبة البرلمان:

طرح أحد برلماني المنطقة ورئيس جماعة قرويةفي الوقت نفسه، سؤالا على وزير الإتصال في جلسة شفوية بالبرلمان، مضمونه أن طاقم القناة الثانية بورزازات كان متحيزا ضده ومروجا للأكاذيب، وأجاب وزير الاتصال، إن تدخل البرلماني بصفته رئيس الجماعة قد أخذ حقه في الرأي الآخر، مثل رأي المواطنين حين أجاب على المشكل، فتساءلت ونفسي لم لم يخصص البرلماني حيز السؤال لمشكل يفيد فيه ساكنة المنطقة الذين صوتوا عليه بدل طرح سؤال خصوصي؟ خاصة أن المشكل كان حول عطل محرك لضخ مياه بئر، تعطلت معه مياه المدرسة والمركز الصحي وما وجدت عشرات الأسر الماء، في عز حملة الوقاية ضد انتشار داء أنفلونزا الخنازير.

رئيس الجماعة لم يحبذ مروره مدة عشرين ثانية فقط في الربورطاج، خاصة أننا سجلنا معه مدة تفوق ذلك، سؤالي له كان فقط حول مشكل تعطل محرك الماء، فآثر هو التحدث أيضا عن مشاريع أخرى للجماعة دون طرحي سؤالا حولها، مؤكدا على وجوب التحدث عن ذلك وعدم الإكتفاء بمشاكل القرية، وأثناء عملية التوضيب وجدنا صعوبة في إدراج كل حديثه في الإستطلاع، لأن الحيز الزمني قصير، ولكونه يعالج فقط موضوع مشكل الماء.

وأذكر أنني لم أسجل رد رئيس الجماعة إلا بعد مدة من الإتصالات معه، فأثناء تصوير المشكل في القرية، حددنا موعدا معه في مقر الجماعة، ثم اعتذر لغيابه عنها، لتتوالى الإتصالات حتى استطعت إقناعه بأهمية الرد، فكثير من المسؤولين يتحاشون الرد على الصحافة، ولا يطرحون الرأي الآخر أو استغلال فرصة التواصل مع الرأي العام خاصة أثناء مشكل معين، يتركون المجال سانحا لأي تأويل وتفسير من قبيل صحة ما قدمه الطرف الأول.

وفيما يلي تقرير عن موضوع السؤال كما أورده موقع وزارة الإتصال:
"وزير الإتصال يجيب عن سؤال لفريق ... حول «التعامل غير المهني لبعض وسائل الإعلام»: (تم حذف اسم الجماعة ورئيسها وحزبه).



واحة سكورة بإقليم ورزازات حيث تمتزج روعة الطبيعة بالعمران المحلي

«أكد السيد خالد الناصري وزير الإتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة، في معرض جوابه على سؤال شفوي حول «التعامل غير المهني لبعض وسائل الإعلام»، تقدم به فريق ... بمجلس النواب، خلال جلسة الأسئلة الشفوية ليوم الأربعاء 30 دجنبر 2009، حول موضوع روبورتاج إخباري قامت به القناة الثانية حول صعوبات التزود بالماء التي تواجهها بعض دواوير جماعة ... بإقليم ورزازات.

إن القناة الثانية تنهج في عملها تعاملا مهنيا، يستوفي العمل بالشروط المهنية والمسؤولية، بعيدا عن أي تحيز أوتهميش أو إقصاء، أو تمييز لمختلف الفاعلين والمنتخبين والهيآت المعنية بالمواكبة والتتبع، سواء عبر النشرات والمجلات الإخبارية أوالبرامج الحوارية وغيرها من برامج التعبير المباشر.

وبخصوص موضوع سؤال فريق .... فيتعلق بربورتاج إخباري مدته دقيقة و22 ثانية،قامت، القناة ببثه ضمن نشرتها الزوالية الرئيسية يوم الجمعة 13 نونبر 2009؛ ويتطرق لمعاناة ساكنة بعض دواوير جماعة ... بإقليم ورزازات، وصعوبة تزودها بالماء الصالح للشرب، جراء انقطاعه بسبب عطل أصاب المحرك الذي يتم بواسطته ضخ المياه.

وأوضح السيد الوزير أن الطاقم الصحفي الذي أعد الربورتاج، منح الفرصة لبعض ساكنة المنطقة للتعبير عن رأيهم، وذلك من خلال تدخلين اثنين استغرقا معا حوالي 20 ثانية، وأكدا معا على انقطاع الماء عن ساكنة هذه الدواوير لأزيد من أسبوعين، ونفس المدة الزمنية(19 ثانية بالضبط) استفاد منها السيد ... لتمكينه من التعبير عن رأيه في الموضوع بصفته رئيسا للمجلس القروي لجماعة ... علما أن تدخلات الساكنة، ركزت على أوجه معاناة سكان المنطقة، ولم تشمل أية إشارة إلى تحمل مسؤولية السيد رئيس الجماعة، وحسب السيد الوزير فإن المادة الإخبارية المعنية، ليس فيها أي إخلال بالمعالجة الموضوعية والمهنية للقضية، أو الإخلال بمبدأ تعددية الرأي، ومراعاة التوازن بالنسبة للمدد الزمنية التي خصصتها القناة للسكان أو لممثلي الجماعة المحلية، معتبرا أن المأمول يبقى هو التعامل بحسن نية مع هذا الواقع، لاسيما وأننا بصدد تعامل إعلامي مغاير ينبغي إنجاحه، الأمر الذي يتطلب منا جميعا، الحرص على تسهيل اضطلاع الصحافيات والصحافيين بمهامهم بهدف تنوير الرأي العام بكل مهنية وموضوعية في

لرأي المواطنين. وكذا مسؤولية الهيآت المنتخبة ودورها التنموي الهام.»

ويؤكد هذا الموقف ضرورة التأكد من المادة الاخبارية قبل كتابتها وإرسالها. من خلال توفر كل العناصر المهنية في التقرير وعدم الإخلال بالأخلاقيات ومبدإ الرأي والرأي الآخر. أكثر من ذلك. خاصة في المجال التلفزيوني. كل اللقطات والتصريحات محسوبة بأجزاء الثواني. ومنح مدة زمنية كبيرة لطرف دون آخر. قد يدخل الصحافي والمؤسسة في مشاكل. ما يستوجب الحضور الدائم للمهنية.

رفع سيارة «الكات كات» في يوم ماطر:

تنقلت رفقة المصور حسن السكوري بمكتب القناة الثانية للرشيدية، إلى منطقتي تونفيت وأنفكو بإقليم خنيفرة، لتتبع حياة الساكنة مع أجواء الشتاء. وكنا في حاجة لمن يرافقنا، للوصول إلى قرية أنفكو التي تبعد بحوالي سبعين كيلومترا عن تونفيت في طريق غير معبدة وصعبة. قصدنا القرية إذن بعد العصر وجاوزنا نصف الطريق، لتصطدم فجأة إحدى العجلات بصخور جبلية حادة أدت إلى انفجار إطارها. أثناء عملية استبدالنا العجلة، إنغرس رافع السيارة في الأرض المبللة بالأمطار وهبط مستوى السيارة، فأصبحنا نحن الثلاثة ملزمين برفع السيارة ذات الدفع الرباعي لإنقاذ الموقف. لم نستطع وازداد الوضع سوءا بحلول الظلام وتهاطل الأمطار، واشتدت البرودة في منطقة معزولة تماما عن البشرية. ببعض الأمل جاءنا شخص رفقة أبنائه شاهد أضواء السيارة، ساعدنا فأتانا بفأس حفرنا بها في الأرض لإدخال العجلة الإحتياطية وتركيبها فنجحنا. أمام الظروف تلك، دعانا القروي للمبيت عنده ناصحا بعدم المغامرة في الطريق بعد أن أجهز عليها الوادي، قلنا له إن برفقتنا شخصا يعرف الطريق، تابعنا المسير في طريق مخيفة بالليل مع تساقط الأمطار، لنفاجأ فعلا بأن الطريق لم تعد تظهر معالمها جنب الوادي، حتى استقرت عجلات السيارة في الوادي ونحن نجتازه، حينها أدركنا ألا مجال للمتابعة، قررنا العودة لكن العجلات استقرت أكثر في الوادي لتدور فقط حول نفسها، خرجنا من السيارة ونزلنا للوادي ندفع بكل قوتنا دون جدوى، لم تكن المسافة التي تركنا فيها القروي الذي ساعدنا من قبل طويلة، مشينا قاصدين إياه لنصل بعد حوالي عشر دقائق، إستنجدنا به وفي الوقت نفسه، إتصلنا بزملائنا في القناة حيث مدوا لنا يد المساعدة بدورهم، في انتظار سيارة الإغاثة، إنتهزنا الفرصة لتدفئة أنفسنا في بيت القروي المدعو الحسين، فأحسسنا بقيمة الدفء حينها، إلى درجة نسيت فيها نفسي حتى كادت النار تلتهم جواربي وأنا أقرب قدمي إلى المدفأة، إحساس كبير بالدفء بعد لحظات صعبة من مقاومة التضاريس الوعرة والظروف المناخية المرعبة، تبللت خلالها ثيابنا كلها ومشينا في النهر بأحذيتنا.



أثناء تغيير إحدى العجلات في منطقة نائية بإقليم تنغير

ناولنا القروي الذي يدعونه الحو، طعاما أجزم أنه كان عشاء أفراد أسرته الثمانية، كان عبارة عن طاجين مكون من الخضر أبرزها البطاطس والكثير من المرق.فمادة البطاطس متوفرة بكثرة في تلك المناطق الجبلية الباردة. وبعد ساعتين جاءت سيارة تمكنت من إخراج سيارتنا وسط الوادي، لنقرر المبيت عند القروي حتى الصباح.كان بيته الوحيد بالمنطقة، أسرة تعيش عصرها الوسيط في انقياذ تام لقهر الطبيعة. الأسرة التي كانت مادة ربورطاجنا صباح اليوم الموالي، تناولنا فيه صعوبة عيشها في تلك الظروف الطبيعية الصعبة. أتذكر ابن الحو الأكبر الذي تعرض لكسر في قدمه، إستطاع والده أن يقدم له الإسعافات المطلوبة لمداواته، وصنع له عكازا نظرا لبعدهم عن أقرب مستوصف أو مركز صحي.ظروفهم تلك لم تمنع والدهم الحو من تشنيف آذاننا بموسيقى شعبية جميلة، عبر آلة الكمان التي يتقن العزف عليها.أغانيه حسبما أتذكر، كانت شجنا وتقاسيم تهز الفؤاد في علياء الأطلس المتوسط. حقا إن الإبداع لا حدود له، كما لو يقاوم بآلته الوترية تلك، صبره مخافة أن ينفذ يوما ما.

تفرض مثل تلك الظروف الطبيعية على طاقم التصوير، الإحتياط خلال تغطياته، من قبيل التزود بالقوت والفراش خصوصا أيام فصل الشتاء، من ماء وتمر وغيرهما، إذ لا يعرف الطاقم أحيانا مدة استغراق التغطية الميدانية، أو حتى المسافات وتضاريس المنطقة، خاصة إذا كانت التغطية الأولى للطاقم في تلك المنطقة، مثلما حدث لنا في دواوير جبلية بين الرشيدية وخنيفرة، في أحد الصباحات الباردة، مررنا بنطقة تلو أخرى بحثا عن دكان لبيع المواد الغذائية، وما أن وجدنا أحدها، حتى فرحنا كمن وجد كنزا ثمينا.

هناك إستطلاع ما، يتطلب إعداده ما يقارب اليوم بنهاره وبعض ليله، من ذلك حين قمنا بتصوير ظروف عيش سكان دواوير أوزيغيمت بإقليم تنغير، تطلب الأمر منا الانطلاق مع الخامسة صباحا من مدينة ورزازات، ووصلنا الدواوير في الساعة العاشرة، نظرا لوجود صعوبات في المسلك الطريقي الجبلي غير المعبد، بل إن أحد إطارات السيارة مرة أخرى، إنفجر ولم يعد لدينا أي إطار إحتياطي، رغم ذلك واصلنا المغامرة لاقترابنا من الدواوير، فوجدنا السكان كلهم إنتظار وشوق للحديث عن مشاكلهم وظروفهم الحياتية.وجدناهم ينوون جمع مبلغ مالي لنا،



إصـرار الـقـرويـين عـلـى إكـرام الـطـاقـم فـي أحـد الـدواوير لـيـلا

ظانين أنها من واجبات التلفزيون. ألحوا بشدة وقاومنا مبادرتهم. ولو رأى الإنسان ظروف معيشهم لرثى حالهم من بؤس وشظف العيش. أثناء عودتنا بعد العصر.كدنا نحاصر في قمة الجبل. بفعل التساقطات الثلجية التي فاجأتنا في شهر مارس. والمحاصرة تعني عدم العودة لا إلى الدوار ولا إلى بيوتنا بورزازات. لحسن الحظ واصلنا المسير بسرعة وقطعنا المسلك الجبلي الصعب قبل أن يعم الثلج المكان. كنا نسير وأنا أضع حزام السلامة في المقعد الخلفي للسيارة. رغم ذلك ظللت ممسكا بكلتي يدي وبقوة المقعد الأمامي. فالرهبة من الطريق ساورتنا مخافة أي انزلاق نحو الحافة. لم نصل حينها ورزازات إلا في الساعة الثامنة مساء. كل هذا من أجل ربورطاج واحد. بعد أيام تلقينا خبرا مفاده استقبال أحد مسؤولي الإقليم لبعض سكان تلك الدواوير. ومن استفساراته لهم. من استدعى طاقم القناة الثانية وكيف تم التصوير؟

ولن أنسى حادثة السير التي وقعت لنا في إقليم طاطا. بالضبط بنواحي أقا. في بداية عملي بمكتب ورزازات. الطاقم حينها كان فقط من فردين اثنين. أنا إلى جانب المرحوم رشيد ارشوق. تحاملت علينا مجموعة من الظروف وعرضتنا لحادثة سير نجانا منها الله. فقد وصلنا مدينة طاطا الساعة الثانية صباحا بعد أربع ساعات من السير من ورزازات. ثم استيقظنا الساعة الثامنة لتغطية ندوة وطنية حول الواحات. بعد وجبة الغذاء إتجهنا صوب بعض الواحات القريبة لتصويرها وتعزيز صور الربورطاج بها. كان الطقس حارا جدا في شهر يونيو. سلكنا طريقا غير معبدة لدخول إحدى الواحات. وأمام قلة النوم والتعب والحرارة وظروف الطريق المنزلقة. لم يستطع المرحوم التحكم في السيارة ذات الدفع الرباعي لتنقلب بنا كلية. نجونا بأعجوبة. إذ تدحرجت السيارة كالكرة مرة إلى اليسار ومرة أخرى إلى اليمين حيث استقرت. إنكسر زجاج النافذة بقربي عن آخره. ولولا انبساط الأرض لكانت الخطورة أكبر. كان لحزام السلامة أيضا دور مهمفي سلامتنا. والغريب أن المكان ذاك. منعدم التغطية الهاتفية. كنا نصعد إلى قمة هضبة للإتصال بالوقاية المدنية والدرك الملكي. إنتظار ذلك خلق لدي حالة من التدبر. لقد كنا على شفا أجزاء بالمئة من الموت. وحمدنا الله أن مكروها كبيرا لم يصبنا.

أثناء اشتغالي سابقا بالإذاعة الجهوية في أكادير، كلفت بتغطية أنشطة بإقليم طاطا نفسه رفقة التقني حماد الصغير لمدة ثلاثة أيام في صيف قائظ. وفي طريق عودتنا طلبت الإدارة منا مواصلة السير إلى إقليم زاكورة لتغطية أنشطة أخرى، كنت حينها متحمسا كأي شاب يدخل غمار العمل بداية حياته. واصلنا السير إذن وحل المساء في منتصف الطريق بين طاطا وزاكورة، تهنا بين الطرق المعبدة وغير المعبدة في غياب علامات التشوير، بلغ بنا التعب والتخوف مبلغه، ثم آثرنا مواصلة السير مادام النشاط المزمع تغطيته سيبتديء في الغد الموالي.

كنا نسير في طرق مخيفة وفي ليل حالك السواد، بمناطق لا تكاد ترى فيها نقطة ضوء، بعد مدة كنت بين اليقظة والنوم فيما قاوم زميلي النعاس وواصل قيادة السيارة. ولم أحس بنفسي بعدها إلا وهو يوقظني في لحظة من الليل، ليخبرني بانفجار أحد إطارات عجلة السيارة، فقلت له وأنا منهك القوى: «شكرا على الخبر،إنها دعوة للنوم إذن». للأسف لم نكن نتوفر على عجلة إحتياطية، ولم يكن أمامنا سوى تكملة السهرة والمبيت في العراء. مع إشراقة اليوم الموالي اكتشفنا وجودنا في منطقة خالية تماما قرب واد تظهر فيه آثار مياه مرت إثر فيضان، عرفنا بعدها بوفاة شخصين جرفتهما المياه، إلتقينا رجلا وامرأة عائدين من عملية جمع الحطب ذاك الصباح، فدعيانا للإفطار بكل كرم رغم جهلهما أي شيء عنا، لأن علامة الإذاعة لم تكن ظاهرة بما يكفي على السيارة، حبذنا الفكرة ورافقناهما إلى بيتهما المتواضع، لم تكن في المنطقة مطاعم أو مقاه، فمع إحساسنا بالجوع، جاءت دعوة القرويين في وقتها المناسب، وتناولنا عندهما الخبز البلدي المطهو في الفرن التقليدي والزيت والشاي، ثم عرفنا منهما اسم القرية تلك، "آيت سمكان". شكرنا القرويين واتصلنا بعدها بالإذاعة ليقوم زملاؤنا بمد يد المساعدة التي قدمت لنا من بلدية أكدز القريبة من المنطقة تلك.

الإعلام والسلطة، علاقة جدلية:

تلقب الصحافة بصاحبة الجلالة وبالسلطة الرابعة. إلى درجة يراها البعض سلطة السلط. فمنحها ذلك موقفا مهما وكبيرا إزاء السلطة نفسها بمفهومها المعروف. الأمر الذي يخلق توترا كل حين بين الصحافة والسلطة.

«من الناحية السياسية ما تزال عدة حكومات ترى تمكين المواطن من المعلومة خطرا على استقرارها. حقيقة لابد للصحافي أن يفهمها ويضعها بذكاء في إطار الواقع دون أن يتخلى عن هدفه: الوصول إلى الحقيقة وإيصالها إلى المواطن. حاكما كان أو محكوما. بالنظر إلى واقع العالم العربي فإن ذلك يعني في معظم الأحيان تقلص مساحة احتمال الخطأ أمام الصحافي. ما يمثل تحديا مشوقا يضاف إلى التحديات الأخرى. لا تختلف كثيرا الآليات التي تحكم علاقة الصحافي بالسياسي عن تلك التي تحكم علاقته بأي مصدر آخر مهما ضعفت سلطته. فكلاهما يريد أساسا أن يستخدم الصحافي لغرض أو لآخر.» 5*

«لا يمكن نفي وجود علاقة قوية ظاهرة وخفية بين رجال السياسة ورجال الإعلام. بحكم حاجة كل طرف إلى الآخر. الصحافي يترصد خطوات السياسي لينهل منه عناصر الخبر ويؤلف مادة إعلامية. أما السياسي فيحتاج للصحافي لينشر له أخبارا تكون جزءا من حرب نفسية أو سياسية. أو يبلغ إرسالية تفيد الجمهور. غير أن هذه الحاجة المتبادلة بين رجال السياسة والإعلام لا تطبع بالتكافؤ والتناظر خصوصا في المجال العربي. حيث يتقوى الفاعل السياسي ويبهت فعل الفاعل الإعلامي.» 6*

كلاهما إذن في حاجة للآخر. يشتغل الصحافي على أفعال وسلوك السياسي. والسياسي بدوره يحتاج للصحافي من أجل تسويق صورته. وما قالته الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي في أحد حواراتها: «إن الشخص الذي لا يريد شيئا من السلطة ولا يخاف منها. يشكل مصدر إزعاج لها. يكون المسؤولون في حيرة متسائلين عن مصدر سلطة هذا الشخص. لدرجة لا يعرفون فيها كيف يتعاملون معه؟ لأنهم تعودوا أن يطلب الناس منهم. الشيء نفسه للكاتب والمثقف والسياسي. يظل



رجال السلطة والدرك رفقتنا لتسهيل مهمتنا أثناء التصوير في ظروف صعبة بتيشكا

كبيرا حتى يطلب شيئا لنفسه.»

أثناء وقوع حدث سلبي بالمنطقة، لا تخبرنا السلطات أوالمسؤولون عموما بالحدث، مثل حادث سير أو سقوط دور وغير ذلك.أما حين يكون الأمر اجتماعا ما، أو نشاطا رسميا فالأمر مختلف، يتصلون ويلحون في الإتصال بغض النظر عن أهمية النشاط ذاك. ما يفرض على الصحفي نسج علاقات ومصادر في عدة قطاعات مهمة، من شأنها الإخبار بحدث مهم في وقته بالمنطقة. فغالبا ما تأتينا الأخبار من اتصالات المواطنين، شهود عيان أو من أصدقائنا، المخبرين ايانا بوقوع حرائق أو حادث سير ميت أو غير ذلك من الأحداث.

أثناء الإشتغال في تصوير خارجي، خاصة في المناطق النائية، تكون السلطات في تأهب لمعرفة محور اشتغالنا وهذا من طبيعة عملها، أحيانا نتصل بالمسؤولين في منطقة لم يسبق لنا التصوير فيها، فحينها لا ندرك الظروف التي تحيط بعملية التصوير. قد نقع في مواقف محرجة حسب الظروف الطبيعية أو مشاكل أخرى، هنا تكون مصالح السلطات في استعداد لمد يد المساعدة، وعادة ما تطلب السلطات منا معلومات عن عناصر الطاقم التلفزيوني، من قبيل الأسماء وأرقام البطائق الوطنية ورقم السيارة.

بعض عناصر السلطة والأمن، تقوم بعملها من خلال أخذ معلومات عنا، أو بطرح أسئلة من قبيل: أين كنتم؟ ماذا صورتم؟ من أدلى لكم بتصريح؟ ومتى ستنتهون من التصوير في المنطقة؟

تدخل رجال السلطة لا يكون فقط أثناء التصوير بل حتى قبلها أحيانا، إذ يتصل بعضهم للإستفسار حول تصوير وقفة احتجاجية ما مثلا في منطقة نفوذهم، مضيفا إن تلك الوقفة من وجهة نظره، غير مبررة، في محاولة لثنينا عن تصويرها.

إتصل بي يوما مسؤول كبير في السلطة بورزازات، كان أول اتصال هاتفي يتم بيننا، إستغرابي لذلك تلاه تهديد ووعيد، وعدم رضى لبث أحد الربورطاجات حول فيضان وادي بإحدى المناطق الجبلية، أكد المسؤول ضرورة تصحيح خبر ورد فيالربورطاج في يومه، وإلا سيتم منعنا من التصوير بالمنطقة، تحليت بالصبر وأنا أسمع كلامه، لأدعوه بعد ذلك إلى منحي فرصة التأكد من المعلومة والقيام بما يلزم، واقترح هو زيارة أحد الموظفين إلى مكتبنا للتأكد.جاء الموظف ليشاهد الربورطاج في موقع القناة على الأنترنت، وتيقن من كلماتي وتصريحات الناس، واقتنع

بانعدام أي خطأ ليتصل بالمسؤول مخبرا إياه
الموضوع. بعدها حدثني المسؤول بنفسه عبر الهاتف محولا التهديد السابق إلى سوء فهم. فاكتشفت أن الأمر تعلق بتأنيب للمسؤول من جهة عليا. حول الموضوع الذي اقترن بفيضانات انعكست آثارها سلبا على السكان.

تكون السلطة في موقف لا تحسد عليه أثناء وقوع حدث سلبي بمنطقة ما عموما. ما أن يرى المسؤولون الكاميرا تصور الحدث. إلا وتكثر الإتصالات لمعرفة ما يتم تصويره؟ أذكر مرة. ونحن نصور بضواحي أكادير حملة هدم منازل مبنية عشوائيا. إصطدم السكان مع عناصر السلطة بالحجارة. كنا نصور ذلك وكادت الحجارة تصيبنا نحن أيضا.عناصر السلطة لم يرقها تصويرنا لذالك الموقف. فقاموا بنزع الكاميرا منا بقوة. إرتأينا تركها مخافة تكسيرها. وتم استردادها فيما بعد. إثر تدخل من مسؤولين آخرين.

ذكرني هذا الموقف بحدث آخر ولو أنه مختلف السياق. أثناء تغطية معرض دولي في الجزائر. بمجرد نزولنا مطار العاصمة. تم حجز الكاميرا حتى الصباح الموالي في الجمارك. بحجة عدم التوفر على الرخصة الأصلية للإشتغال بالجزائر. علما أن وزارة الإتصال الجزائرية أرسلتها لنا عبر الفاكس. ما يعني صعوبة التوصل بالنسخة الأصلية.نسخة إضطررنا للحصول عليها من الوزارة المعنية صبيحة اليوم الموالي. ولحسن حظنا لم يكن مقررا أي تصوير عشية نزولنا في المطار.

السلطة هي السلطة. تاريخ ورمز وقوة. ليس سهلا في زمن قصير أن تتنازل عن كل ذلك الإرث. رغم بعض التغيير الذي طالها. ومع وجود عقليات شابة تنشد التجديد. في إحدى تغطياتنا بإقليم زاكورة. وبمنطقة لا تعرف زيارة الصحفيين كثيرا. إلتقينا فيها قائدا شابا. تحادثنا كثيرا وتناولنا عدة مواضيع. ثم سألنا عن موضوع تصويرنا. فأجبته ولم أبح له بكل مخطط عملنا. مثل ما يكون أثناء حوار صحافي حسب التقنيات المتعارف عليها. لا نخبر ضيفنا بكل الأسئلة وتفاصيلها. فقط المحاور الرئيسية.

في اليوم الموالي بدأنا التصوير في منطقة صحراوية. ثم توغلنا في حي سكني به مشكل التصحر. جاءني اتصال حينها من القائد. مستفسرا عن الموضوع الذي نصوره. أجبته بكل صراحة. فقال لي هذه العبارة:

"لم نتفق على هذا الأمر". الصحفي هنا صار عنصرا مزعجا بالنسبة للسلطة. بعد لحظات إلتحق القائد بنفسه إلى مكان التصوير. يقوم بعمله كما أقوم بعملي، في احترام تام لوظيفة كل واحد منا.

هذا الأمر لا يعني ضرورة الإصطدام مع رجال السلطة. يحاول الصحفي قدر الإمكان التعاون معها في حدود الممكن، دون تدخل في مهنته. فالمناطق التي لا تتعامل مع الإعلام تعرف بعض المشاكل التواصلية، ما يفرض الصبر وحسن التعامل والإحتياط. فالسلطة في الأخير، هي المسؤولة عن ذلك النفوذ الترابي.

«المازوط» من أجل تغطية تلفزية:

لكل مؤسسة أوجمعية، مواقف عديدة أثناء تواصلهم معنا، حيث تختلف طرق الإخبار والإعلام بالمبادرات وكيفية ترويجها وتبليغها، سواء لنا كطاقم تصوير تلفزيوني أو لوسائل الإعلام بصفة عامة.

بعض الجمعيات تطورت كثيرا في تقنيات التواصل، تخبر بتنظيم نشاط الجمعية قبل شهر من موعده، ثم قبله بأسبوع، وذلك عبر الفاكس بإرساله إلى مكتبنا المحلي، وبالبريد الإلكتروني، وعن طريق الإتصال الهاتفي أيضا ودون إزعاج، باقتراب الموعد تأكيدا لأهمية النشاط. أذ ما يزال التواصل أمرا صعب الفهم والتطبيق، خاصة من طرف بعض المؤسسات التي يفترض أن تكون سباقة لمعرفة آليات هذا المجال الذي يتطور يوما عن يوم. إتصالات أتتني من مؤسسات عمومية بالمنطقة ترغب في حضور طاقم القناة لتغطية نشاط ما، فيتصل المسؤولون قبله بيوم أو يومين من موعده، وأحيانا قبل ساعة منه، أقوم بالشرح المعتاد: يلزمنا بلاغ صحفي طلبا للتغطية، للتعرف على مضمون النشاط والفاعلين فيه ثم التنسيق مع إدارتنا. فأهمية البلاغ المرسل كبيرة، من ناحية نرسله لإدارة القناة بالدار البيضاء لمنحنا الضوء الأخضر لتصويره حسب أهميته، ومن ناحية أخرى يعتبر وثيقة رسمية تبرز نوعية النشاط والمساهمين فيه، مخافة أي سوء تفاهم في التواصل. هو أيضا بمثابة دعوة للتغطية الصحفية، فهناك أنشطة كثيرة، لا يرغب الفاعلون فيها بالتواصل مع الإعلام حسب قناعاتهم ومواقفهم الشخصية.

هناك انتقادات ما تطرح بشكل حضاري، وأخرى تطلق دون أدنى معرفة لحيثيات العمل، أو حتى دون متابعة للأخبار، خاصة لما يبث من مكتب ورزازات. ومن الإنتقادات ما توصلت بها كتابيا، من طرف لجنة تضم عدة جمعيات، أرسلت طلبا إلى مكتب القناة تستفسر فيه عن ندوة نظمتها حول موضوع مشاكل قطاع السياحة، وكان الإختلاف الأساسي حول طريقة معالجة الموضوع، فمعلوم أن ثمة اختلافا في التناول الإعلامي بين الإذاعة والصحافة المكتوبة وبين التلفزيون.

.فالصحافة المرئية تعتمد أساسا على الصورة. وما تعلمناه في المعاهد ولدى من سبقونا في المهنة. أثناء تغطية ندوة ما غالبية صورها لناس جالسين في ندوة. يستحسن البحث عن زاوية لبدء التقرير كي لا يمل المشاهد ويفهم الموضوع جيدا. ونمنحه بالتالي فرصة مشاهدة ربورطاج غني بالصور يساعدنا للمرور مباشرة إلى فحوى الندوة. وهذا ما حصل. بدأنا بصور من فندق بالمنطقة يعاني من قلة السياح. تلاها تصريح مسير الفندق متحدثا عن المشاكل التي تعيق مؤسسته من منظوره وتجربته. ثم تناولنا محاور الندوة التي أبرزت بعمق مشاكل القطاع بورززات. وكانت شكوى اللجنة تلك. تهم التطرق إلى جميع المداخلات والتوصيات المنبثقة عن الندوة. والإشارة إلى كل المنظمين لها. وعدم إدراج أية صور أخرى بعيدة عن مكان الندوة.

فالربورطاج أو الإستطلاع المتعارف عليه صحفيا. يعتبر من أهم أجناس الصحافة. لما يتميز به من نقل للحدث من المكان عينه. وما يتسم به من تقنيات سردية ووصفية. وشهادات واقعية.تجعل المتلقي كأنه في المكان موضوع الإستطلاع.

الروبورطاج التلفزيوني هو حسب تعبير هيرزن. في معناه المباشر: "الحياة في أشكال الحياة ذاتها. مراقبة عمليات وتطورات الواقع من أصلها ومنشئها. حيث تحمل الكاميرا إلى المشاهدين صورة الحاضر وتخلق قوة تأثير الحضور الناجمة عن المشاركة. تأثير يعبر عن نفسه بأقصى قدر من القوة والوضوح لا تستطيع أن تحققهما أية وسيلة إعلام جماهيرية أخرى."*7

«يوظف الإستطلاع قانون القرب النفسي والوجداني بشكل أفضل من باقي الأجناس الأخرى. يستطيع مجاراة اهتمامات الإنسان اليومية. كما بمقدوره أن يفرد للإنسان البسيط نفس الرقعة التي يبسطها للأشخاص المرموقين اجتماعيا. وبهذه الكيفية. يبدو هذا الجنس أكثر دمقرطة من غيره داخل منظومة الأجناس الأخرى. فللإستطلاع ميزة أنسنة الأخبار: فالشخوص لها أسماء.وسن وصفات. ووجوه وسحنات. ترطن بالكلام. أو تشدد على مخارج الحروف...» *8

نسمع انتقادات أخرى كاتهامات بالرشوة. بالزبونية والمحسوبية في اختيار المواضيع. إنتقادات تغيب عنها الإحصائيات أو التحليل الدقيق للربورطاجات كما وكيفا. دون معرفة طرق الإشتغال أو ظروف العمل.

منها مثلا ما كتب مرة على إحدى الصفحات المحلية بالأنترنت، بضرورة التصدي لمكتبنا الذي يقوم بإقصاء الثقافة في المدينة. لماذا؟ لأننا لم نقم بتغطية نشاط ثقافي في دورته الثالثة، علما أننا قمنا بتغطية الدورة الأولى والثانية.

ليس ثمة دائما إنتقاد سلبي، بل إلتقينا أناسا لا علاقة لنا بهم، يثمنون عملنا الميداني، من خلال الإسهام في كشف عزلة العديد من المناطق، والتعريف بها للرأي العام الذي لم يسمع قط بها في منابر أخرى، وغيرها من المبادرات التي عرفت أيضا بأسماء مغمورة في عدة مجالات من الحياة، وبفضل الإستطلاعات، تم تقديم عدة مساعدات لدواوير معزولة أو خلقت تضامنا واسعا مع سكانها.

من الإعلاميين من يرى الإنتقاد دليلا على تميز الصحفي، أي أنه استطاع خلق مكانة في دائرة ضوء تسلط على عمله المهني، ما يدل على تأثيره على الآخرين، إلى درجة تؤكد أن وجود الإنتقاد يعني أن الصحفي في المسار الصحيح، وهذا طبعا لا يعني بالنسبة للإعلامي الإنشغال بالإنتقادات والرد عليها، لأن ذلك سيلهيه عن رسالته الأساسية وعمله المهني. يقول الصحفي المصري مصطفى أمين في كتابه صاحبة الجلالة في الزنزانة: "كل عذابي في الصحافة كان راحة، كل علقم فيها كان شهدا، فالصحافة بغير معارك تفقد أروع ما فيها من حركة وحياة، وعندما كان يمضي علي أسبوع أنا وأخي في جريدة أخبار اليوم دون أن يهاجمنا أحد، أو دون أن نتعرض لاضطهاد أو تهديد،كنا نشعر بقلق، وكنا نقول لابد أننا فقدنا حيوية العمل الصحافي.."9

ويضيف في كتابه: "إن حياة نجوم الصحافة مثل حياة نجوم الفن، كل واحد منهم يقف على المسرح أمام الجماهير، تسلط عليه الأضواء، فإذا عجزت الأضواء سلطت عليه الألسنة، وألسنة الناس عادة عمياء، وهم لا يرون إلا صورة خيالية من حياة الصحافيين، يتصورون لياليهم حمراء وأيامهم أعيادا وأفراحا، إنهم يسيرون في مواكب خيالية يركبون عربات مذهبة تجرها خيول بيضاء وعمرهم ألف ليلة وليلة، إن النجم الصحافي يشعر بشعور غريب، أنه أصبح ملكا للقراء، ومن أجل هذا يحاسب على أمزجتهم ويحترم شعورهم فلا يتحداهم، حتى يكون دائما موضع عطفهم، ولكن القارئ لا يعرف هذه الحقيقة، إنه يرى نور الشمعة ويعجب بضوئها، ولكنه لا يرى أبدا أنها تحترق وهي ترسل إليه هذا الشعاع». "10

مجموعة من المؤسسات لا تعرف كيف تتواصل مع الإعلام؟ وهو ما يقلص نسبة حضورها بشكل كبير أمام المتلقي. رغم إسهامها في عدة مبادرات مهمة بالمجتمع. في حين نجد مبادرات مؤسسة أخرى ضعيفة. غير أنها تقوم بحملة إعلامية كبيرة. إن مؤسسات المجتمع المدني تسعى لتأمين التغطية الإعلامية لأنشطتها. لتساهم في الترويج للقضايا التي تعمل عليها وفي توعية الجمهور حولها. وسائل الإعلام أيضا. تنخرط في الحملات التحسيسية وتتبنى القضايا الأساسية. وتساهم في صناعة رأي عام قادر على الإستجابة إلى تحديات التغيير.

يكون أحيانا طلب البعض مستفزا من أجل تغطية نشاط ما. أقول مستفزا أمام الإلحاح المستمر عبر الهاتف بالتغطية. دون العلم بإكراهات العمل البشرية والتقنية. إلى درجة أن أحدهم هددني مرة باستدعاء قناة فرنسية لتغطية حدث بالمدينة. إن لم نقم نحن بذلك. فطلبت منه التريث والحضور للمكتب لتقديم طلبه كتابة.

مثل هذه الأمور والمواقف. قد تجعل الإنسان يفقد صوابه. إن لم يستطع التحكم في الأعصاب والتدرب على كيفية محاورة الناس في مثل هذه المواضيع. أمام الإتصالات الكثيرة على مدار اليوم. وطلبات التغطية التي تطلب بطرق غير واضحة احيانا. أو بالإسهاب مثلا في شرح تفاصيل نشاط ما عبر الهاتف. دون الإكتراث بما ينتظرنا من عمل حينها. كأن نكون في ظروف عمل تتطلب التركيز والدقة.

هناك من يتصل لطلب تغطية نشاط ويضيف أن ثمة منحة مادية رهن إشارة الطاقم. أو من يسميها وقود السيارة «المازوط». وهناك من يتركنا حتى ننهي عملية التصوير. فيعمل على إخراج الأوراق المالية من جيبه. يحتاج الأمر هنا أيضا لبعض الصبر. فمن الناس من لا يعرف أن الخدمة الصحفية تكون مجانية. أخاطبهم بكل هدوء. وأشرح بأنها خدمة عمومية لا مقابل أو ضريبة عليها. حتى في الدواوير النائية. يتصل أحدهم متسائلا عن إمكانية حضورنا لتغطية وقفة إحتجاجية للسكان قائلا : "هل أطلب من السكان أن يجمعوا لكم بعض التبرعات؟" وآخر أكد لي هاتفيا. أنهم جمعوا مبلغا ماليا من أجل تغطيتنا لتظاهرتهم. سكان لا يعرفون أن عملنا المهني لا نأخذ عنه مقابلا ماديا. فقد يكون أول تواصل لهم مع منابر إعلامية. سيتم أثناء ممارسة العمل المهني خلق صداقات من جهة. وعداوات من جهة أخرى. إذ لا يمكن إرضاء كل الأطراف. من جمعيات ونقابات وسلطات



وسائل النقل الجماعية ببعض المناطق المعزولة أمام ضعف البنية التحتية

وغيرها. بيد أن القيام بالعمل المهني بالشكل الصحيح، وبالأخلاقيات المتعارف عليها،والتعامل مع الناس بطريقة تحترم حقوقهم، حينها حتى الأعداء سيحترمون الصحفي.



احدى الوقفات الاحتجاجية للساكنة القروية بجماعة امسمرير

البحث عن الخبر :

تغيب كثيرا في عملنا بمكتب ورزازات، تغطية الندوات والمؤتمرات والأنشطة الآنية، قليلة إلى نادرة، تمر فترة طويلة من شهر فأكثر دون حدث ثقافي أو سياسي أو اقتصادي يستحق التصوير، ما يستدعي التوفر على دليل هواتف، ومعرفة بتاريخ المنطقة وأنشطة جمعياتها في عدة أنحاء من الجهة، لتسليط الضوء عليها أو التطرق إلى بعض من انشغالات السكان، ما يعني البحث عن الخبر وصنعه، هنا تشتغل الحواس أكثر، وتظهر أهمية المصادر وأرقام الهواتف، هواتف رؤساء الجمعيات والمسؤولين، إستفسارا عن مبادرات جديدة أو أنشطة مرتقبة، أو مشاريع أنجزت لم تنل حقها في الإعلام، فيتأكد القول: بإن الصحفي هو مجموعة مصادر.

نظرا لاشتغالنا في أقاليم: ورزازات،تنغير،زاكورة وطاطا، فالفرص كثيرة للعثور على مقترحات ربورطاجات أو أفكار جديدة، ففي كل جماعة يمكن تصوير فكرة ربورطاج ما على الأقل، وبفعل الممارسة في الميدان، صرنا نعرف ونقتنص الربورطاجات أحيانا من ثقب إبرة، وفي الكثير من التنقلات، أثناء تصويرنا لموضوع معين، تظهر في الجانب مقترحات ربورطاجات جيدة للتصوير، فكما أسلفت الذكر عن تصوير مدرسة الرحل، كانت فكرة الربورطاج الأولى هي مبادرة مدرسة الرحل الفريدة على الصعيد الوطني، ثم انتهزنا فرصة تصوير ربورطاج آخر، هو بورتري لأستاذهم ودوره الذي يختلف عن بقية المعلمين والأساتذة، ثم ربورطاجا ثالثا عن الأسر الرحالة التي ما تزال رهن نمط الترحال في تلك المنطقة النائية.

أثناء فترة الشتاء، نطالب بشكل مستمر بربورطاجات حول برودة الطقس، وكيفية معيش السكان مع قساوة المناخ، نعرف حينها مباشرة مقصدنا، إلى درجة أصبحت فيه تلك النوعية من الربورطاجات من اختصاصنا، غير أننا نحاول قدر الإمكان التنويع في المناطق وفي زوايا المعالجة، كي لا يكون هناك تكرار أو ملل لدى المتلقي، لأن غالبية جماعات المنطقة تعاني من تدهور المعيش اليومي في الجبال والقرى النائية.



الكاتب والمصور يسيران صوب دوار بعد تهدم قنطرة في جماعة غسات

في حالات أخرى، تأتيني أفكار ربورطاجات أثناء معيشي اليومي بالمنطقة، قد أجول في مكان معين لأكتشف فكرة ما، وقد ألتقي بشخص يحدثني عن مشروع معين أو اقتراح يكون صالحا للتصوير. فالمهنة حاضرة مع الصحفي أينما حل وارتحل. لا يمكن فصلها عن الذات، خصوصا لدى الصحفيين المراسلين، كل لحظاتهم في المنطقة تنصهر تلقائيا في العمل.

تاريخ المنطقة القصير مع الإعلام، جعل الكثير من المعنيين لا يتواصلون بكثرة مع المنابر الإعلامية، فعدة مؤسسات تصدر تقارير مهمة، ومجموعة أخرى مثل الجمعيات أو التعاونيات، تقوم بمشاريع أو مبادرات تستحق التغطية، بيد أن أخبارها تظل في الرفوف. هناك مؤسسات ليست لديها آلية تواصل مستمرة على مدار السنة، لإرسال التقارير للمكتب، أو عبر الفاكس أو حتى عن طريق البريد الإلكتروني. وكثيرا ما لا يعيد المسؤولون أو رؤساء الجمعيات طلبات التغطية، بحجة عدم التجاوب مع المبادرة الأولى، فكيف يمكن تلبية طلبات قطاعات مثل التعليم والصحة والخدمات الإجتماعية وغيرها، عبر أقاليم شاسعة مثل ورزازات، تنغير، زاكورة وطاطا؟

أسوأ المهن:

قال لي أحد الأصدقاء الصحفيين: كنا ندرس الصحافة بالمعهد، نتلقى الدروس عن الصحافة وكأن الصحفي هو مركز ثقل الكون في عمله، لنفاجأ أثناء التداريب والعمل المهني، بأن الصحفي يواجه مشاكل عدة مع بقية العناصر خلال العمل، في التصوير أو المونطاج أو الميكساج وغيرها من المراحل في العمل الصحفي.

وقد شكل دخولي غمار التداريب التطبيقية الأولى صعوبات معينة، لأن بعض المشتغلين في الإعلام يرون التواصل أو مساعدة المتدربين مضيعة للوقت، أو لكونه عنصرا مزعجا يأخذ من وقتهم وراحتهم، بل أحيانا ثمة من يراهم منافسين لهم في مهنتهم. فالمجال ليس كله مفروشا بالورود، كما إن هناك إعلاميين ممتازين في تواصلهم، يقدمون المساعدة ويمنحون الثقة لكل صحفي متدرب. التداريب الصحفية فرصة مهمة للتأقلم مع المهنة، فالفرق كبير بين التنظير والتطبيق. وكلما كانت تجارب الصحفي المبتدئ كثيرة إلا وصقلت مهنيته، مهما كان المنبر الذي تدرب فيه، فبعد التخرج، يشتغل الصحفي تحت شعار ممنوع الخطأ، لذا وجب انتهاز فرص التدريب بشكل أكبر.

ليس الصحفي العنصر الوحيد ولا البارز لإنجاح العمل التلفزيوني، رغم كونه المسؤول عن المادة الخبرية. هناك المصور، الجندي المجهول الذي يحمل كاميرا قد تزن عشرة كيلوغرامات على كتفه لمدة طويلة، وصاحب الصور الملتقطة التي يعتمد عليها الصحافي لإنجاز تقريره، بل أحيانا تكون الصورة أكثر أهمية من التعليق، فالصورة هي ما يثير فضول المشاهدين أكثر، وإلا سميناهم مستمعين. إلتقاط المشاهد يتطلب من المصور التركيز في عمله تقنيا ومعنويا، فلا يمكن العودة إلى المكان نفسه لإعادة تصوير لقطات تم نسيانها أو صورت بطريقة خاطئة، أو بصوت غير جيد. فقبل الذهاب لمكان التصوير يستحسن الإلمام بموضوع التصوير من قبل الصحفي والمصور لإنجاح العمل، أو أن يسأل المصور زميله الصحفي عن مادة التصوير لأخذ فكرة عن الموضوع، فالتنسيق يجعل العمل أكثر مهنية واقترابا من النجاح، لأن المصور الذي يتقن عملية التصويرالتلفزيوني، يقدم مادة تصويرية دسمة للصحفي، من



طاقم القناة يشتغل في ظروف مناخية صعبة بمنطقة تيشكا

خلال جمالية الصورة التي تساعد في التعليق عليها، وكذا في عملية التوضيب أو المونطاج.

فالتركيز في الصور واللقطات يجعل المونطاج عملية سهلة، أما الإكثار من الصور فيجعله متعبا يتطلب الكثير من الوقت. لذا من الأفضل التنسيق أثناء التصوير، لأن الصحافي يعرف الصور التي يريدها لأجل الربورطاج، كما يستحسن ألا يرهق الصحفي زميله المصور في التقاط لقطات، يعرف مسبقا أنه لن يحتاجها أو لكونها قد تشكل خطورة على حياته.

يتوجب على الصحفي الذي يشتغل مراسلا لمؤسسته، أن يكون قادرا ومستعدا من ناحيتين اثنتين، الذهنية والجسمية، الذهنية لأن العمل الميداني يتطلب مهارات عالية وقدرا مهما من الإنتباه وحسن التقدير والتصرف، مخافة أي خطأ مهني أو أي خطأ آخر، قد يشكل خطرا على الطاقم، ويكون ملما أكثر من غيره بمجموعة من المجالات، من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، فيما قد يكون الصحفي في المقر المركزي مثلا متخصصا فقط في مجال معين.

أما الإستعداد الجسمي، فللتكيف مع الظروف الإجتماعية والطبيعية بمكان إقامته الجديدة، لأن تنقلات الطاقم التلفزيوني تمتد إلى عدة مناطق نائية، تتطلب صبرا في السير ولو عبر السيارة ذات الدفع الرباعي، فالكثير من المناطق لم تصلها بعد مسالك معبدة، ما يجعل المرء يحس بالتعب، جراء الإهتزازات المتكررة فوق الطرق غير المعبدة، فكم من مرة نصاب بالتعب الشديد وآلام الظهر لساعات، بعد عودتنا من تغطية نائية بسبب الطريق غير المعبدة. أذكر مرة صورنا فيها خرجة لمجموعة من الفاعلين الجمعويين الى منطقة مكونة في فصل الربيع، إستغرق المشي ست ساعات متواصلة نهارا، عبرنا فيها الوديان وصعدنا الجبال وتفادينا الكثير من الصخور، حينها تناوبت مع المصور في حمل الكاميرا التي تزن عشرة كيلوكرامات، المشي حينها دون عتاد هو أصلا متعب مع حرارة الشمس، فكيف مع جهاز ثقيل تخشى عليه من أي عطب؟

المسالك الطرقية الطويلة لا ينسينا مللها أحيانا، سوى الإستمتاع ببعض الموسيقى، أغنية تليها أخرى، كل فرد من الطاقم وذوقه الخاص، من الأمازيغي إلى العربي فالأجنبي، من كل فن طرف، إيقاعات قد تخفف



احدى المخاطرات أثناء اجتياز وادي درعة بمحاميد الغزلان في منطقة تفتقر إلى قنطرة

وطأة التعب وكثرة التنقلات. فيما أنتهز شخصيا طول التنقل أحايين أخرى في المطالعة أو قراءة الجرائد. فبعملية بسيطة. أكتشف الزمن الذي يمر طويلا اثناء التنقلات الكثيرة.

قد يواجه الصحفي مشاكل التأقلم مع الطقس الذي لم يعتده. أو يشتغل في وسط إجتماعي لم ينشأ فيه. ما يتحتم عليه تكوين علاقات جديدة ومعرفة سلوكيات ذلك المجتمع. فقد صنف الموقع الإلكتروني الامريكي *كاريير كاست* مهنة الصحافة. في دراسة له سنة 2012 بأنها من أسوإ المهن. لما فيها من عوائق ومشاكل وضغوط. مثل جندي يسير فوق حقل ألغام. فإذا كان الأمر هكذا مع الصحفيين. فكيف سيكون الحال مع الصحفيات اللائي يشتغلن في الميدان؟ ستكون الضغوط عليهن أكثر من الذكور.

وبعيدا عن هذه الحيثيات. كيف ستكون شؤون الأسرة لدى الصحفي أو الصحفية ؟ وكذلك الشأن بالنسبة للمصور والسائق. نظرا للغياب المتكرر أو المهام المهنية المفاجئة. فلنتصور صحفيا مرتبطا بموعد طبي لفرد من أسرته مطالب في اللحظة تلك. بالتنقل لتغطية حدث ما.أمور تتطلب الإحتياط الدائم وتعويد الأسرة عليها. والإيمان بنبل الرسالة والمهنة. فكلما كانت الأسرة متفهمة ومدعمة. إلا كان عمل الصحفي أفضل.

من الأمور المستحسنة في الصحفي المراسل أيضا. ان يكون ملما بمجموعة من التقنيات. مثل التصوير. والمونطاج. أي عملية توضيب اللقطات المصورة ولصقها ببعض لإنجاز إستطلاع من دقيقة ونصف إلى دقيقتين. ثم الميكساج. أي عملية تسجيل التعليق على الصور. وفي الأخير. عملية الإرسال إلى المحطة الرئيسية. فقد يكون حدث مهم بالمنطقة. والمصور غير مستعد لعذر ما. في الحالة هاته يتعين على الصحفي نفسه المبادرة للإشتغال. لأن من شأن ذلك. منح سبق صحفي لقناته التلفزيونية.

"الصحفي هو الشخصية الأكثر جذرية وأهمية في التلفزيون. لأنه حامل ومجسد الإتجاه الإيديلوجي في الشاشة وخارجها. الناطق الرسمي باسم المجتمع والمعبر عن مصالحه. الشخصية المركزية في عملية التوجيه الإجتماعي. والشخص الذي ائتمنه المجتمع ليعبر عن مصالحه." *11

العمل الصحفي التلفزيوني أكثر تعقيدا منه في الإذاعة أو الصحيفة. فالصحفي ينتج صورة مركبة من صوت وصورة. ما يتحتم عليه الإلمام ببعض عوالم السينما والإبداع بشكل عام.

ثمة أطقم تلفزية تعتمد فقط على عنصرين هما الصحفي والمصور الذي يقوم بسياقة السيارة أيضا. وهناك أطقم يكون ثالث عناصرها السائق المساعد. يقوم بمهمتي السياقة ومساعدة المصور تقنيا وحمل معدات الإشتغال. دوره لا يصغر أمام بقية أدوار الصحفي والمصور. فهو الشخص الذي يوصل الطاقم إلى مكان التصوير ويعيده إلى مقر العمل في أمان. وبفضل انتباهه وحسن تجربته. يمكنه أن يساهم أيضا في شؤون العمل. باقتراح أو فكرة قد تغيب عن الصحفي والمصور.

يتطلب العمل الميداني بصفة عامة تضامنا وصبرا كبيرين من طرف الطاقم نفسيا وجسديا. فقد نجد جمعية مثلا لم تستعد بما فيه الكفاية للتصوير. يقوم الطاقم بمساعدة المشرفين في الديكور وتنظيم القاعة أو المكان. رغم كونه أمرا يضيع الوقت. كما يتطلب العمل الإنسجام بين عناصر الطاقم خاصة أثناء تغطية الأحداث الكبرى. فلا يجب أن يغيب عنصر عن آخر. مثلما الشأن مثلا لتغطيتنا احتراق سوق قديم وسط مدينة ورزازات. كنا قريبين جدا من الحريق الذي جعل قنينات الغاز الصغيرة تنفجر واحدة تلو الأخرى. أمر فاجأنا ونحن نصور. فدوي الإنفجار كان بالقرب منا جدا. قد يجرؤ أحد عناصر الطاقم أكثر من اللازم أثناء التغطية. فقد يتعرض للخطر. ما يستوجب الإحتياط والتضامن. ويعني الإنسجام بين عناصر الطاقم. حسن تدبير عملية التواصل فيما بينهم. وكذلك مع كل عنصر خارجي. ليكونوا خير ممثلين لمجال التواصل مع الناس ومع كل الهيآت أو المنابر. باحترام للغير. بحسن التحدث والظهور بمظهر لائق. والإنضباط التام للوقت.



محاولة تصوير في وضعية صعبة فوق قنطرة خشبية مهترئة

صوت وصورة:

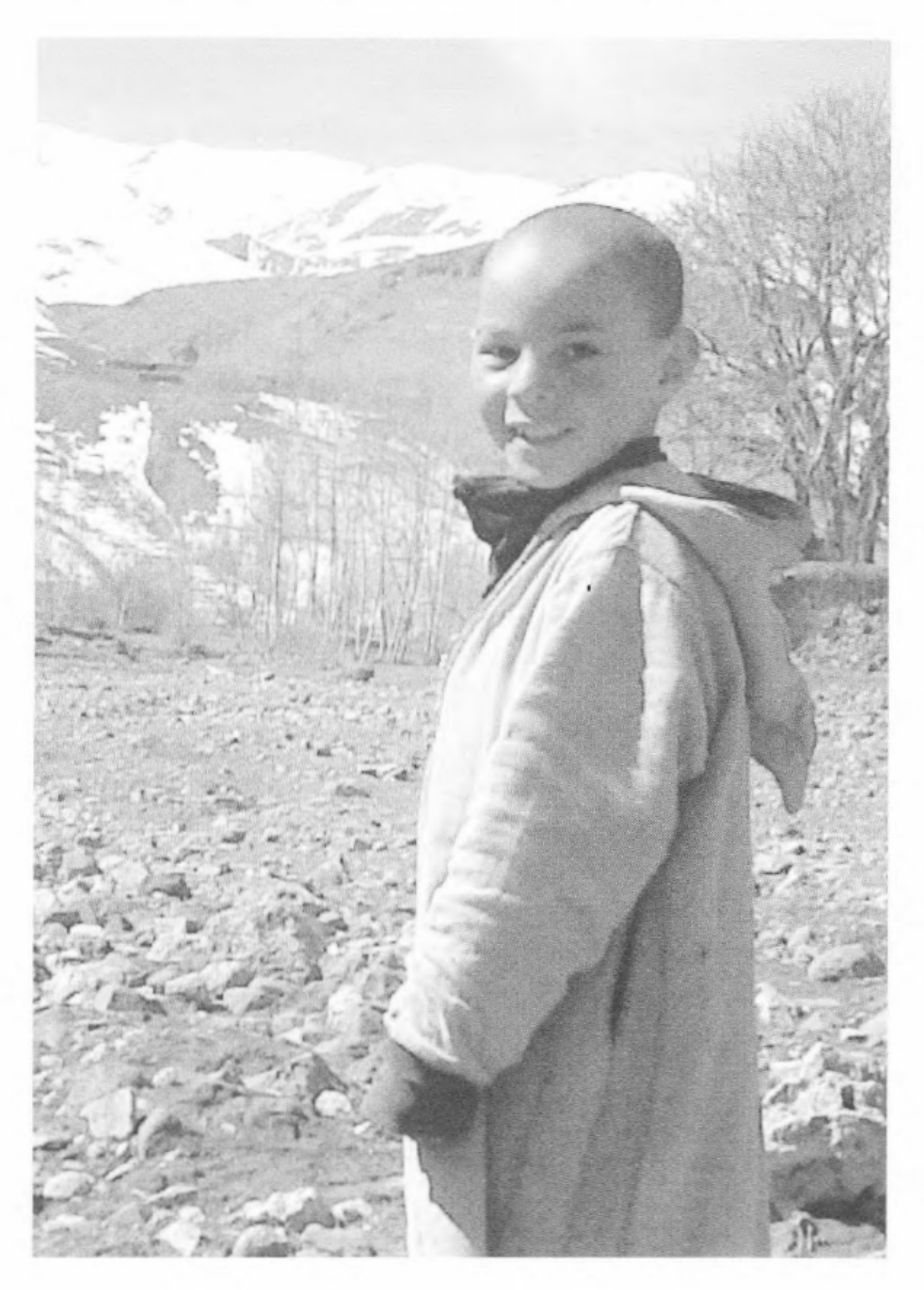
يستأثر التلفزيون بالأهمية بين وسائل الإعلام الجماهيرية، حيث ينقل الكلمة المسموعة والصورة المتحركة، فضلا عن أنه يخاطب الأميين والمتعلمين على اختلاف مستوياتهم التعليمية. فبالرغم من أن التلفزيون يعتبر وسيلة ترفيه لدى البعض، فالبعض الآخر ينظر إليه بأنه جهاز ذو إمكانيات إعلامية وسياسية وتعليمية واسعة في الحياة.

أثناء وقفة احتجاجية لسكان قرية ما، يتصل بنا السكان مرات عديدة، وحين نكون في تغطية حدث ما مبرمج سابقا، يصعب معها الإستجابة لطلب المحتجين، يواصلون رغم ذلك الإحتجاج، ويضعون جدولا زمنيا جديدا أو ساعة رهن إشارة الطاقم لتصوير الوقفة، حدث ذلك مثلا في وقفة إحتجاجية بجماعة إدلسان، طالب فيها المحتجون بتحسين الخدمات الصحية، ووقعت أيضا في جماعة امسمرير بإقليم تنغير، التي تواصلت فيها الوقفات الإحتجاجية حوالي ستة أيام حول قطاعي الصحة والتعليم.

وليس كل من وقف احتجاجا هدفه الوقفة الرمزية تلك في حد ذاتها، فكثيرا ما نجد المحتجين ينتظرون بدء التصوير من أجل الوقوف تلك اللحظة، وبمجرد انصرافنا من التصوير، ينصرف جميع المحتجين، وكأن غرضهم حضور طاقم القناة للتصوير فقط.

من خلال بعض الإحصائيات التي قمت بها في مكتب ورزازات، كانت الإستطلاعات التي قدمناها حول المنطقة، مثل تنغير وزاكورة وطاطا إضافة لورزازات، تتجاوز مئة وخمسين ربورطاجا في السنة الواحدة، في الأخبار باللغة العربية ومثلها بالأمازيغية، حوالي ستين بالمئة منها مواضيع اجتماعية، تهم المعيش اليومي للسكان واحتياجاتهم ومشاكلهم، من طرق وصحة وكهرباء وماء وتعليم ومرافق اجتماعية بصفة عامة والبنية التحتية، فيما بقية الربورطاجات تهم الأنشطة الإقتصادية كالسياحة والسينما، وكذا ثقافة المنطقة وعاداتها وموروثها الحضاري.

تأثير المادة الخبرية مهم للغاية وذو وقع كبير، مثلا بعد بث ربورطاج عن خصاص في الأطر التربوية، بإحدى المدارس القروية لدوار بجماعة سكورة، عانى منه آباء التلاميذ مدة، جعلهم يضربون عن اصطحاب



ابتسامة الأمل في المناطق الجبلية الصعبة

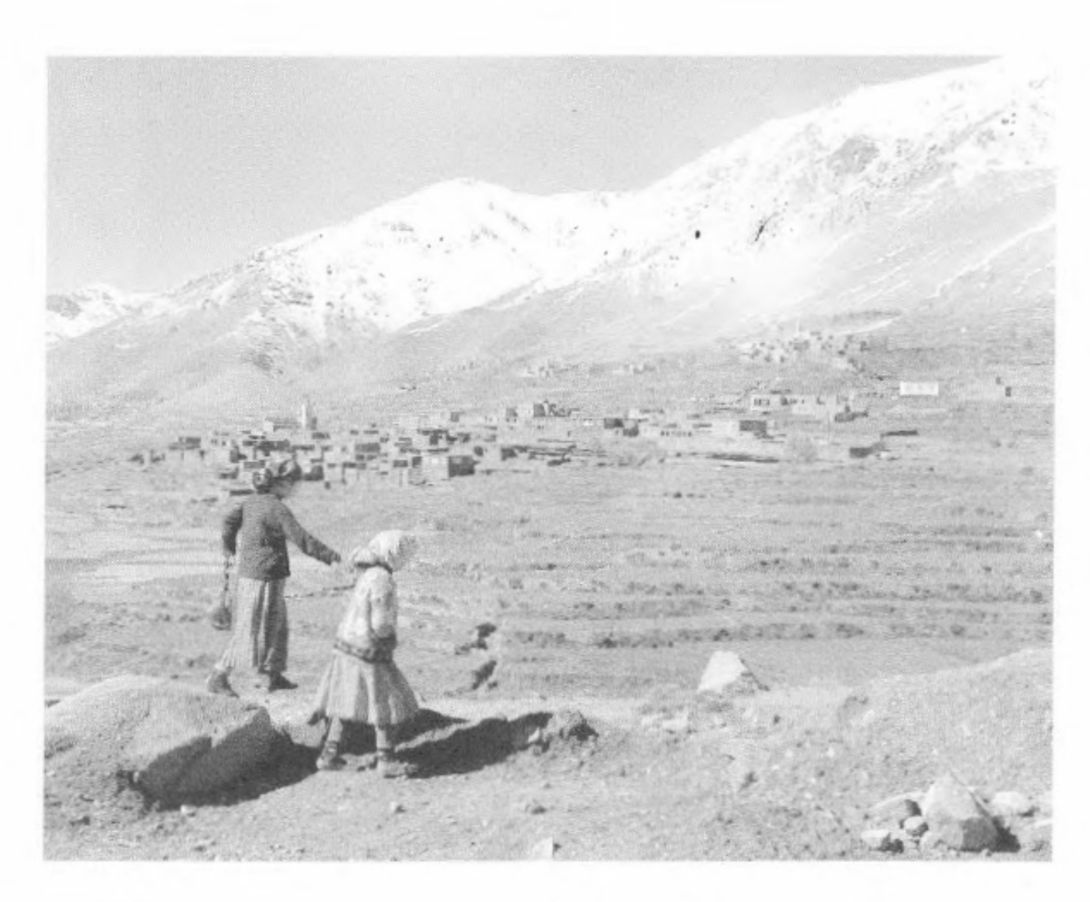
أبنائهم للمدرسة عدة أسابيع. بعد بث المادة تم إيفاد أساتذة للمدرسة. نتيجة لتأثير بث الربورطاج. ومثل استطلاع حول فيضانات تنغير في أحد مواسم الأمطار. إتصلت بي مؤسسة من الدار البيضاء للتواصل مع الذين تهدمت دورهم لمدهم بيد المساعدة. الشأن نفسه لمجموعة من الأشخاص رغبوا في التضامن مع عائلات ويتامى ضحايا حادث السير المروع بيتشكا. الذين كانت غالبيتهم من إقليم زاكورة. وذلك بعد إنجازنا لربورطاجات حول معاناتهم جراء رحيل الذين كانوا يعيلونهم.

«بفضل الإعلام. يتحقق التواصل بفعالية ويتحول خلاله العالم إلى قرية صغيرة. كل ما فيها يعرف ويقال. لم يعد الإعلام حكرا على نخبة معينة.كما أشار إلى ذلك العالم الكندي مارشال ماكلوهان. وسائل الإعلام هي نتاج وانعكاس لتاريخ مجتمعاتها. وهي بدورها تلعب دورا فيه. وعلى الرغم من تشابه المؤسسات الإعلامية عبر المجتمعات. فإن وسائل الإعلام بحكم نشأتها وممارستها. والأعراف التي تحكمها هي مؤسسات وطنية تستجيب للضغوط المحلية والسياسية منها والإجتماعية. كما تأخذ في حسبانها توقعات جماهيرها المحلية.»*12

يحصل الإنسان بصفة عامة حسب بعض الدراسات. على معلوماته بنسبة تسعين بالمئة عن طريق النظر. وفقط ثمانية بالمئة عن طريق الأذن. من هنا تبدو أهمية التلفزيون وإسهامه في بناء التيارات بواسطة البرامج المقدمة في مجموعة من المجالات. الصورة التي يقول عنها مارشال ماكلوهان في كتابه "فهم وسائل الاعلام". بكونها من وسائل الإعلام الساخنة. أي التي تحرك انفعالات وأحاسيس المتلقي. ولتكملة المادة التلفزيونية. تنضاف الكلمة إلى الصورة. فالكلمة في التلفزيون ذات وظيفة مختلفة عن ماهو الحال في الصحافة المكتوبة والإذاعية. هي مكملة للصورة وتوسع أفق المشاهد.

إن الوظائف التي يقوم بها التلفزيون. أكثر اتساعا وأكثر تنوعا من تلك الوظائف التي تقوم بها وسائل الاعلام الجماهيرية الأخرى مجتمعة. يمتلك مجالا ومدى أوسع وأغنى من السبل والوسائل لتصوير العالم وتقويمه.» * 13

هذه المعطيات لا تعني بتاتا. ضعف وسائل الإعلام الأخرى مثل الصحافة المكتوبة أو الإذاعية أو الإلكترونية. فلكل نوع خصائصه ومميزاته. ولكل نوع أيضا مهتمون. فمن المتلقين من يميل إلى نوع أكثر من أي نوع آخر.



الطبيعية الجبلية الأخاذة لأحد دواوير جماعة إمي نولاون



الراعي والحمل في إحدى مناطق ورزازات النائية

الصحافة مهنة وإبداع:

تجعلنا شحنة العمل والتفاني فيه، لا نرى ما ينتظرنا من مواقف أو حتى مخاطر في سبيل إنجاز مادتنا الصحفية. أكيد أن هذا غيض من فيض تعرض له الزملاء في هذه المهنة، مواقف ما أكثرها، فكل عمل لا يكاد يمر دون أن يترك معه لحظات إستثنائية. ألم يقولوا، وللناس فيما يعشقون مذاهب؟

التنظير في عالم الصحافة له أهميته الكبرى، والممارسة تمكن الصحفي من الإستفادة ومراكمة التجارب، بشكل يمنحه الثقة والإقبال على أية تغطية دون مشاكل. وأحيانا تكسر الكثير من القواعد المهنية في عملية إعداد الربورطاج الإخباري، نظرا لوجود إكراهات عدة، مثل ضيق الوقت وصعوبة الحصول على صور معينة أو معلومات ما. أثناء العمل المهني، أشياء كثيرة تصادفنا من مشاكل تقنية في الأجهزة، إلى أخرى مع الناس، أو غيرها من المشاكل التي تظهر بعد البث.

أهمية التلفزيون في حياتنا اليومية أصبحت كبيرة، إلى درجة يوجد بالمنزل الواحد عدة أجهزة، وقد لا نجد فيه جهاز راديو أو جريدة، ما يجعل رسالة الصحفي التلفزيوني تكبر يوما بعد يوم.

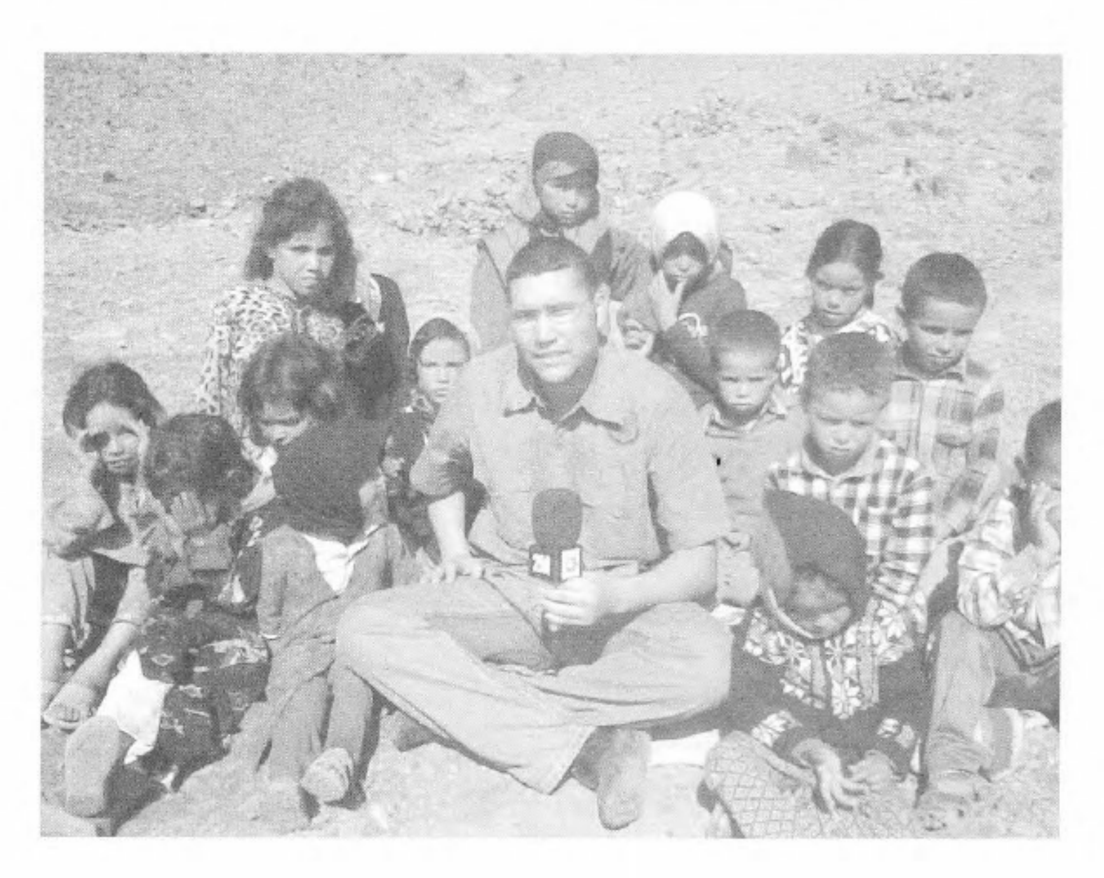
الصحافة مهنة نلتقي فيها ونتواصل بها، مع أكبر الموظفين بالمنطقة من مسؤولين وأمنيين ومندوبين، كما نلتقي فيها مع أبسط الأشخاص و المستويات الإجتماعية. مهنة نحمل همها يوميا من الصباح حتى المساء، في البيت، قبل المنام وفي الأحلام، في الصلاة وأثناء تناولنا لأية وجبة، أو أثناء مزاولة الرياضة حيث ينشغل الفكر بالمهنة. وأعتقد أن ممارسة الرياضة أمر ضروري لكل صحفي، فمن جانب تؤهله لمواصلة عمله في ظروف صحية، ومن جانب آخر، تمنحه فرصة كبيرة للإسترخاء من ضغوطات العمل التي لا تنتهي بنهاية أي إستطلاع.

حين نرى مجموعة من الإستطلاعات التي ننجزها، تبث على قنوات ومواقع في الأنترنت أيضا، وتكتب حولها التعليقات، وقد تصل نسب مشاهدتها إلى أرقام مهمة إضافة لمن شاهدها مباشرة على شاشة القناة، كل ذلك يمنح بعض الإرتياح حول أهمية المجهودات المبذولة.

وخصوصا بعدما يتم التجاوب مع إحدى المواد الإخبارية، سواء من طرف المجتمع المدني أو المسؤولين على القطاع، يدل ذلك على التأثير الإيجابي لمهنة الصحافة، ودورها الكبير في المجتمع.وحينها ليست من أسوإ المهن، بل من أنبلها وأعظمها.حينها أيضا يزداد ثقل المسؤولية لحظة بلحظة. قال لي أحد المواطنين في إحدى المناطق الجبلية النائية يوما: "إذا كان الصحفي ينام أكثر من ست ساعات في اليوم، فلا خير يرجى منه.



رفقة بعض أطفال قرية أوزيغيمت النائية بإقليم تنغير



تصوير بجانب التلاميذ الرحل في نواحي تنغير

قائمة المراجع:

1 -هاشم اهل برا: يوميات من خط النار، القصة الكاملة لتغطية قناة أبوظبي لاحداث 11 سبتمبر والحرب في أفغانستان وسقوط بغداد.الدار العربية للعلوم،الطبعة الاولى 2004 .
2 -المهدي المنجرة :حوار التواصل من اجل مجتمع معرفي عادل، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة 11/2005 .
3 - المصدر نفسه
4 - محسن حسين: من اوراق صحفي عراقي،كتاب دبي الثقافية، الطبعة الاولى يوليو 2012
5 - على درب الحقيقة: دليل أريج للصحافة الاستقصائية العربية 2009
6 - محمد شكري سلام: عالم الفكر : ثورة الاتصال والاعلام من الايديلوجيا الى الميديولوجيا: ص 81 يوليو 2003 الكويت
7 -أ.بوريتسكي وترجمة أديب خضور: الصحافة التلفزيونية، المكتبة الاعلامية،الطبعة الثانية دمشق 2009
8 - د.عبد الوهاب الرامي: الاستطلاع الصحفي، الطبعة الاولى ابريل 2004، مطبعة دكار،
9 - مصطفى أمين : صاحبة الجلالة في الزنزانة، الطبعة الخامسة 1985 لبنان
10 - المصدر نفسه
11 -أ.بوريتسكي وترجمة أديب خضور: الصحافة التلفزيونية، المكتبة الاعلامية،الطبعة الثانية دمشق 2009
12 - د.عثمان بن محمد الاخضر العربي : النظريات الاعلامية المعيارية: حوليات كلية الاداب بالكويت، 1996
13 -أ.بوريتسكي وترجمة أديب خضور: الصحافة التلفزيونية، المكتبة الاعلامية،الطبعة الثانية دمشق 2009

الفهرس



كنت (ومازلت) أقول لزملائي، من طلبتي بالمعهد العالي للصحافة والإعلام بالدارالبيضاء، جملة تغضب الكثيرين منهم، وتستفز آخرين، وتثير الحيرة في فريق آخر. كنت أقول لهم، في سياق الحديث عن تحديات ممارسة هذه المهنة: «لمن سيكتب له منكم فعلا امتهان هذه المهنة»، لأن لي اليقين أن ليس كل طلبة معاهد الصحافة سيصبحون صحفيين بالضرورة. وأيضا ليقيني أن من يصنع الصحفي ليس المعاهد والتكوين، بل مدرسة الحياة والممارسة في الميدان، بدليل، أن بعض أعظم صحفيي المغرب والعالم العربي والعالم، لم يلجوا قط معهدا صحفيا، وأن مدرستهم كانت هي الممارسة، بالتالي، كانت الغاية أن أستفز تحديهم للتشبث أكثر بهذه المهنة الجحود في بلد مثل بلدنا المغرب.

لحسن العسبي



بطاقة المؤلف:

عبد اللطيف بن الطالب

مواليد ايت ملول / اكادير سنة 1978

صحفي بقسم الأخبار في مكتب القناة الثانية بورزازات.

حاصل على البكالوريا من ثانوية البقالي 1997.

حاصل على الإجازة المهنية في الإعلام السمعي البصري من المعهد العالي للصحافة والإعلام بالدار البيضاء 2006.

صحفي سابق بالاذاعة الجهوية لاكادير 2006.

صحفي ومراسل صحفي سابق في جرائد أسبوعية ويومية: منبر الشباب، الصباح، منتدى الأنوار، أسبوع الجزيرة الثقافية، ثامن مارس، المستقل.

قسم الكتاب
أكادير ميديا للكتاب والنشر
طبعة 2012

30 **درهم**